أُولُوا العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ

نُوحٌ عليه السلام

nooh alhislam.indd 1 5/22/13 4:19 PM

شارع الأمير عبد العزيز بن جلوي (الضباب سابقًا) مقابل الغرفة التجارية

المملكة العربية السعودية ص. ب: ٢٢٧٤٣ الرياض ١١٤١٦

هاتف: ٤٠٣٣٩٦٢ - ٤٠٤٣٤٣٢-١-٠٠٩٦٦ فاكس: ٤٠٢١٦٥٩-١-٠٠٩٦٦

E-mail: darussalam@awalnet.net.sa, riyadh@da-us-salam.com Website: www.darussalamksa.com

دار السلام العليا	: تلفون	00966-1-4614483	فاكس :	4644945
دار السلام الملز	: تلفون	00966-1-4735220	فاكس :	4735221
دار السلام جدة	: تلفون	00966-2-6879254	فاكس :	6336270
دار السلام المدينة المنورة:	: تلفون	00966-503417155	فاكس :	8151121
دار السلام خميس مشيط	: تلفون	00966-7-2207055		0500710328
دار السلام الخبر	: تلفون	00966-3-8692900	فاكس :	8691551
دار السلام الشارقة	: تلفون	00971-6-5634623	فاكس :	5632624
دار السلام باكستان	: تلفون	0092-42-7240024	فاكس :	7354072
دار السلام لندن	: تلفون	0044-208-539 4885	فاكس :	208-5394889
دار السلام نيويورك	: تلفون	001-718-6255925	فاكس :	718-6251511
دار السلام هيوستن	: تلفون	001-713-7220419	فاكس :	7220431
دار السلام ماليزيا	: تلفون	00603-77109750	فاكس :	77100749

© مكتبه دار السلام ،١٤٣٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المعتاز، عبدالله محمد

نوح عليه السلام./ عبدالله محمد المعتاز.الرياض،١٤٣٤هـ

ص:١١٢،مقاس ١٤ x ٢١ سم

ردمك: ١-٣٠٠-٥٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١-المسيح(عليه الصلاة والسلام) ٢-قصص القرآن

٣- قصص الأنبياء أ.العنوان

ديوي ٢٢٩,٥ ١٤٣٤/٥٨١٧

رقم الإيداع: ١٤٣٤/٥٨١٧

ردمك: ١-٣٠٠-٥٠٠-٦٠٣-٩٧٨

أُولُوا العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ

نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ

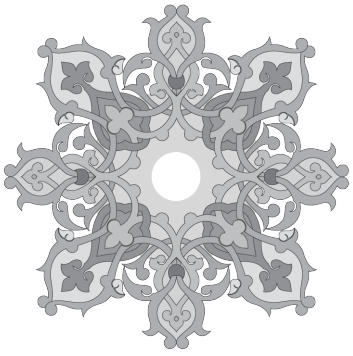

تَأْلِيف الشَّيخ

عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدٍ المُعْتَازِ

مؤسّس إدَارة المسَاجد وَالمشَاريع الخيريّة

وَالمشرف العَام عَلى مَكتبة دَارِ السَّلام للنشر وَ التّوزِيع

دَارُ السَّلَامِ لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ

الرياض- المملكة العربية السعودية

nooh alhislam.indd 3 5/22/13 4:19 PM

nooh alhislam.indd 4 5/22/13 4:19 PM

المقدمة

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، وأصلي على نبينا وحبيبنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حتى آتاه اليقين، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم إلى يوم الدين، أما بعد:

فهذا كتاب عن قصص نوح عليه السلام مستقى من القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ [يوسف: ٣]، وفي هذه القصص عبرة للمعتبرين وفائدة للقارئين المتأملين وتذكير للغافلين وتثبيت لرسولنا الكريم وللدعاة والعلماء والواعظين وللناس أجمعين قال تعالى: ﴿ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٦]، وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [يوسف: ١١١]، وقال: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ [هود: ١٢٠].

وفي صبر نوح الذي دعا قومه آلاف سنة إلا خمسين عامًا حث على الصبر وتوجيهه إليه قال تعالى: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾ [العصر: ١ – ٣].

أسأل الله تعالى أن ينفعنا بقصص الأنبياء وأن يجمعنا بهم في جنات النعيم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

مؤسس إدارة المساجد والمشاريع الخيرية

عبد الله بن محمد الصالح المعتاز

ترجمة نوح عليه السلام

هو نوح بن لامك بن متوشلخ بن خنوخ بن يرد بن مهلائيل بن قينن بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام.

ولد بعد وفاة آدم بمائة سنة وست وعشرين سنة ذكر ذلك ابن كثير في تفسيره وذكرها ابن جرير في تاريخ الأمم والملوك وبينه وبين آدم عشرة قرون.

عن زَيْدِ بْنِ سَلاَّمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا سَلاَّمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا أُمَامَةَ، أَنَّ رَجُلاً، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَبِيٌّ كَانَ آدَمُ؟ قَالَ: نَعَمْ، مُكَلَّمٌ ، قَالَ: فَكَمْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نُوحٍ؟ قَالَ: عَشَرَةُ قُرُونٍ(١).

وقيل: إن بينهم قرونًا طويلة وألوفًا من السنين حيث أن المراد بالقرن الجيل من الناس كما قال تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ﴾ [الإسراء: ١٧]، وقوله: ﴿ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴾ [الفرقان: ٣٨].

وقول الرسول ﷺ: "**خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي**"(٢). الحديث

(١) صحيح ابن حبان (٦١١٩) والطبراني في الكبير (٥٧٤٥) و الحاكم في المستدرك صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢ / ٢٦٢).

(٢) متفق عليه البخاري في فضائل الصحابة (٣٦٥١) ومسلم في فضائل الصحابة (٢١١ / ٢٥٣٣).

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴾ [المؤمنون: ٤٢]، وقال: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ ﴾ [مريم: ٧٤].

أما بعثته فكانت وعمره خمسون عامًا وقيل: ثلاثمائة وخمسين عامًا وقيل: أربعمائة وثمانين عامًا كما قال ابن جرير وابن عباس(١).

ذكرت قصص نوح في كل من الأعراف ويونس وهود والأنبياء والمؤمنون والشعراء والعنكبوت والصافات واقتربت ونوح والنساء والأنعام وبراءة وغافر والشورى وق والذاريات والنجم وص والأحزاب والإسراء وإبراهيم والحديد والتحريم وكان الذين على الإسلام قبل نوح وبينهم وبين آدم عشرة قرون لما رواه الحاكم في مستدركه: "كان بين آدم ونوح عشرة قرون".(الحاكم:٣٦٥٤)

ثم حدثت عبادة الأصنام فبعث الله نوحًا عليه السلام فعبدوا ودًا وسواعًا ويغوث ويعوق ونسرًا كما قال تعالى:﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [نوح: ٢٣].

والمدة التي حدثت فيها عبادة الأصنام بعد عشرة قرون طويلة تقدر بألوف السنين وذلك على قول: إن عشرة القرون التي ورد ذكرها بين آدم ونوح هي القرون التي كان قوم نوح فيها على الإسلام وليست كل المدة

(١) تاريخ الأمم والملوك (١ / ١٧٩).

بينهما ففي الطبقات عن عكرمة: **"كَانَ بَيْنَ آدَمَ وَنُوحٍ عَشْرَةُ قُرُونٍ كُلُّهُمْ عَلَى الْإِسْلاَمِ"**.(ابن سعد:١/٤٢)

حيث قال عكرمة : **" كُلُّهُمْ عَلَى الْإِسْلاَمِ"** وقد يكون بينهما قرون كثيرة ليست على الإسلام غير هذه العشرة والله أعلم.

نوح -عليه السلام- هو أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض؛ وذلك بعدما تحولوا إلى عبادة الأصنام وأمعنوا في الضلالة والكفر.

جاء في تفسير الطبري عن عكرمة قال: " كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام".(الطبري ٦٣٩/٢٣١)

وقد ذكر الله -عز وجل- في كتابه أسماء الأصنام التي كان يعبدها قوم نوح، مما جاء على لسان أشرافهم: ﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ﴾ (نوح: ٢٣ - ٢٤).

وقد لبث نوح -عليه السلام- في قومه زمناً طويلاً يدعوهم إلى عبادة الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ ﴾ (العنكبوت: ١٤).

٩٥٠ سنة وهو يدعوهم إلى عبادة الله، ولكن لم تؤت ثمارها فيهم، فلم يؤمن برسالته إلا القليل منهم، وكان الوالد إذا بلغ ولده سن الرشد يوصيه أن لا يتبع نوحاً أبداً ما عاش، لذا توارثوا الإصرار على

الشرك، وأمعنوا في العصيان، فقال نوح -عليه السلام- لقومه: إني محذركم من عذاب أليم، فاعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئاً؛ لأني أخاف عليكم إن عبدتم غيره أو أشركتم معه سواه أن يعذبكم يوم القيامة عذاباً شديداً: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾ (هود: ٢٥ - ٢٦).

ولكن قوم نوح لم يستجيبوا لنصيحته، ولم يأبهوا لإنذار الله لهم، وأنكروا عليه أن يكون نبياً لهم: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴾ (هود: ٢٧).

استمر نوح -عليه السلام- في دعوته، محاولاً إقناع قومه بأسلوب هين لين، وأخذ يحاورهم ويجادلهم: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (هود: ٢٨ - ٣١).

لم تؤثر هذه الكلمات في نفوس القوم، بل ردوا عليه في عناد: ﴿ قَالُواْ يَـٰنُوحُ قَدْ جَـٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (هود: ٣٢ - ٣٤).

وبعد أن ضاق نوح ذرعاً بقومه لجأ إلى ربه؛ مستغيثاً به مما يلاقي من قومه من إعراض، فقال: يا رب، إني دعوت قومي إلى الإيمان بك، وترك عبادة الأصنام، وقد حرصت على إيمانهم، فلم أدع مناسبة إلا وقد دعوتهم فيها، سواء في الليل أو النهار، فلم يزدهم حرصي ودعوتي لهم إلاّ تمرداً وعصياناً، ثم إني دعوتهم مرة بعد أخرى بأساليب مختلفة، فحيناً أدعوهم جهراً في مجتمعاتهم، وحيناً أنفرد ببعضهم سرًّا، ولا فائدة.

حالة الناس قبل بعثة نوح عليه السلام

كان الناس منذ آدم إلى بعثة نوح عليه السلام أمة واحدة مدة عشرة قرون كما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: **"كَانَ بَيْنَ آدَمَ وَنُوحٍ عَشْرَةُ قُرُونٍ كُلُّهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ"**(١).

وقال تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾ [البقرة: ٢١٣].

وكان في قوم نوح عليه السلام رجال صالحون فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون عليها أنصابًا وسموها بأسمائهم ففعلوا ولم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبدت.

عن محمد بن قيس ﴿ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ قال: "كانوا قومًا صالحين من بنى آدم، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صوّرناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم، فصوّروهم، فلما ماتوا، وجاء آخرون دبّ إليهم إبليس، فقال: إنما كانوا يعبدونهم، وبهم يُسقون المطر فعبدوهم"(٢).

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات ١/ ٤٢.

(٢) رواه ابن جرير ٢٣/ ٧٣٩.

وعن أنس أن النبي ﷺ قال: **"أَوَّلُ نَبِيٍّ أُرْسِلَ نُوحٌ"**(١).

وعن السدي في قوله: ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [الأعراف: ٦٣] قال: "بيان من ربكم"(٢).

وعن قتادة أن نوحًا بعث من الجزيرة وهو أول رسول بعث إلى أهل الأرض بالجزيرة العربية لما حدث فيها الشرك بعبادة الأصنام.

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف: ٥٩].

يذكر الله تعالى رسوله محمدًا ﷺ بأنه أرسل نوحًا إلى قومه لما عبدوا الأصنام لما نحتوا أسماء رجال صالحين ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر وقد قال لهم نوح: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ فهو خالقكم ورازقكم والمتصرف فيكم والمستحق للعبادة والدعاء وأنكم إذا استمررتم على الشرك والتكذيب فسوف يأتيكم عذاب الله العظيم ولكن أشراف قومه وسادتهم ورؤسائهم وكبرائهم وقادتهم قالوا له: ﴿ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأعراف: ٦٠]، فنفى نوح عن نفسه الضلالة وقال: ﴿ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٦١].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم(٨٦٢٢)٥/١٥٠٤.

(٢) انظر الدر المنثور٣/٤٨٣.

لقد أرسلني الله تعالى إليكم ليبين لكم الحق والخير والهدى والصلاح وأنهاكم عن الشرك والجهل والضلال وأدعوكم إلى الإيمان بالله وطاعته وعبادته وحده لا شريك له وأحذركم من الشرك فأنا ناصح أحب الخير لكم ولنفسي والمغفرة والثواب للمؤمنين ولدي علم من الله أبلغكم به ﴿ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٦٢]، فأنا بشر من جنسكم تعرفونني نسبًا وصدقًا وأمانة أنذركم من عقاب الله إذا لم تؤمنوا بما أدعوكم إليه.

واستمر في دعوتهم بكل الوسائل ألف سنة إلا خمسين عامًا فلم يؤمن منهم إلا القليل وقيل: عددهم مائة والله أعلم.

أثر دعوة نوح في قومه

لم تترك دعوة نوح -عليه السلام- في قومه إلا أثرًا ضئيلاً كما صرح القرآن: ﴿ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ (هود: ٤٠)، أما الأكثرون فقد تبرموا من دعوته وكذبوه ووصموه بالجنون، وحالوا بينه وبين تبليغ رسالته بأنواع التخويف والأذى: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴾ (القمر: ٩)، كما هددوه بالرجم: ﴿ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴾ (الشعراء: ١١٦). بعدها تبين لنوح -عليه السلام- أن هؤلاء لا ينفعهم دعوة الله -عز وجل-، وإن تركوا متمادين في ضلالهم أضلوا غيرهم عن الحق، ونشروا آثامهم، وانتقل فسادهم إلى ذريتهم

بالوراثة، فهم لا يلدون إلا من كان على شاكلتهم في الكفر والفجور، عندئذٍ لجأ إلى ربه يشكو قومه: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الشعراء: ١١٧ - ١١٨).

كما دعا على قومه بالهلاك وأن لا يترك على الأرض منهم أحداً: ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ (نوح: ٢٦ - ٢٧).

استجاب الله -عز وجل- لدعاء نوح -عليه السلام- وأراد سبحانه قبل أن يهلك القوم أن يهيئ له وللمؤمنين أسباب النجاة، فأمره -عز وجل- أن يصنع سفينة النجاة، وأعلمه أنه سيكون أثناء صنعها محاطاً بعنايته، ونهاه أن يدعو للكفار بالنجاة بعد أن أصروا على كفرهم؛ لأنه حكم عليهم بالغرق.

شرع نوح -عليه السلام- في صنع السفينة، وبدأ قومه يستهزؤون به بأنه قد تحول من داع إلى الله إلى نجار، ويقولون: ماذا تقصد يا نوح بهذه السفينة؟ وأين الماء الذي سيحملها وهي في البر بعيدة عن البحر؟

وكان -عليه السلام- إزاء سخريتهم يقول لهم: إن كنتم تهزؤون بي وبمن معي من الذين آمنوا، فإننا سنهزأ بكم عمّا قريب، وسوف تعلمون من سيأتيه عذاب يذله في الدنيا، كما سيحل عليه في الآخرة

عذاب دائم خالد: ﴿ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴾ (هود: ٣٧ - ٣٩).

انتهى نوح -عليه السلام- من صنع السفينة، وظهرت علامات بدء العذاب، وهي تفجر الماء من الأرض، فأمر الله -عز وجل- نوحاً أن يجمع من كل صنف من الأحياء والحيوانات زوجين، ذكراً وأنثى؛ ليحملهما معه في السفينة؛ لأجل أن تبقى بعد غرق سائر الأحياء فتتناسل ويبقى نوعها على الأرض، كذلك أمر الله نوحاً أن يحمل معه في السفينة جميع أهله وأقاربه باستثناء اثنين منهم كفرا بالله، وهما إحدى زوجاته وأحد أبنائه، كما أمره أن يحمل معه المؤمنين من غير أقاربه، وهم قليلون: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٖىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ ﴾ (هود: ٤٠ - ٤٢) ، أرسل الله -عز وجل- بعد ذلك من السماء مطراً غزيراً لم تعهد الأرض قبله، كأنه أفواه القرب، وأمر الأرض بأن تتفجر فيها المياه، فنبعت من جميع فجاجها وسائر أرجائها، فاجتمع ماء السماء وماء الأرض؛ ليحصل جرّاء ذلك الطوفان العظيم الذي قدره الله لهلاك الكافرين، والسفينة

الصغيرة تسير وسط هذه الأمواج المتلاطمة بحفظ الله -عز وجل- ورعايته: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾ (القمر: ١٠ - ١٤).

وبذلك انتهت نهاية هؤلاء الكافرين الذين لم يستجيبوا لأمر نبيهم، بل فضلوا الخضوع للأصنام عن الخضوع لرب العباد.

وفي وسط تلك الأمواج المتلاطمة تحركت عاطفة الأبوة عند نوح -عليه السلام- وتذكر ولده فناداه الأب؛ ليركب معه في السفينة؛ لينجو من الغرق، ولكن ظلمة الكفر طمست على بصيرته، وأصر على عصيانه، وظن أنه سيلجأ إلى جبل مرتفع ولن يصل الماء إليه، فلم يستجب الولد لنداء أبيه، وظن أن ما يجري عوارض طبيعية عادية، وكان يأمل أن ينجو بدون ركوب السفينة، فقال لأبيه: سألجأ إلى جبل لا يصل الماء إليه، فرد عليه أبوه: ليس هناك أية قوة تحول بين أحد وبين الغرق الذي قدره الله اليوم على الكافرين، وأبى الابن أن يستجيب لنداء أبيه، فكان من المغرقين: ﴿ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ

﴿ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴾ (هود: ٤٢ - ٤٣).

لقد ثارت الشفقة في قلب نوح على ولده، فسأل الله -عز وجل- بعد ما تحقق من هلاكه أن ينجيه الله، فأجابه الله -عز وجل- بأن ولده كافر، وأن عقيدة البراء من الكفار من أساسيات التوحيد، والذي يجب عليه أن لا يُغلِّب شفقة الأبوة على حكم الله -عز وجل-: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (هود: ٤٥ - ٤٧)، وبذلك هلك الكفار من تأثير الطوفان.

بعدها أمر الله -عز وجل- الأرض أن تبلع ماءها، وأمر السماء أن تقلع عن المطر، واستوت سفينة نوح -عليه السلام- ومن معه عند جبل يسمى الجودي: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (هود: ٤٤).

رست السفينة عند ذلك الجبل، وأمر الله نوحاً أن ينزل من السفينة إلى الأرض، فهبط بأرض الموصل محفوفاً ببركات من الله هو ومن آمن معه وذرياتهم ممن سيكونون أمماً مؤمنة، وبعضهم سيكونون

أمماً يستمتعون بالدنيا وخيراتها، ولكن لن ينالوا بركة الله؛ لأنهم سينحرفون عن جادة الحق، وسيغويهم الشيطان، ويؤدي بهم إلى عذاب الله في الدنيا والآخرة، ﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ (هود: ٤٨).

وفي نهاية القصة وجه الله خطابه إلى محمد -صلى الله عليه وسلم- قائلاً: تلك القصة التي قصصناها عليك عن نوح وقومه هي من أخبار الغيب، ما كنت تعلمها أنت ولا قومك على هذا الوجه من الدقة والتفصيل من قبل هذا الوحي الذي أوحينا به إليك، فاصبر على إيذاء قومك كما صبر نوح من قبلك؛ فإن عاقبتك الفوز مثل نوح، والعاقبة الطيبة دائماً للمتقين، ﴿ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ (هود: ٤٩)، وقد صدق الله وعده ونصر الله رسوله محمدًا -صلى الله عليه وسلم- على أعدائه كما نصر نوحاً من قبل، وسينصر الله -جل وتعالى- أتباعهم إلى يوم الدين.

تكذيب قوم نوح

قال تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمًا عَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٦٤].

لقد كذب قوم نوح رسولهم فأغرقهم الله وأنجى نوحًا والذين آمنوا معه بعد أن دعا عليهم ونصر نوحًا وكان من أمرهم أن فتح الله أبواب السماء بالماء وفجر الأرض بالعيون فالتقى ماء الأرض بماء السماء فركب نوح السفينة التي صنعها بأمر الله تعالى من الألواح والمسامير فجرت بهم قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٦٤]، فهم عمون عن الحق مكذبون بنوح عبد الله ورسوله مشركون بخالقهم منكرون رسالات ربهم.

قيل: إن المطر الذي نزل عليهم كأفواه القرب وتفجرت الأرض بالعيون القوية وقد أركب نوح بالسفينة الحيوانات من كل زوجين اثنين لئلا ينقطع نسلها وسارت بهم السفينة بإذن الله واستقرت على الجودي وهو جبل بالموصل شمال العراق وبعد جفاف الأرض نزلوا وأغرق الذين كذبوا بآيات الله.

إن هؤلاء الكفرة العصاة كانوا يؤذون نوحًا ويسخرون من المؤمنين ويطيعون الشياطين ويعبدون الأصنام أهلكهم الله وأبقى المؤمنين قال الله تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾ [القمر: ٩ - ١٤].

وكان نوح قد دعا عليهم بقوله: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ [نوح: ٢٦ - ٢٧]، وهكذا مآل المكذبين المتكبرين المعاندين ونصر المؤمنين المصدقين فهل

يستيقظ أولئك الضالون المكذبون برسولنا محمد ﷺ الناكبون عن الصراط المستقيم وهم يرون الفيضانات يظهر في وقتنا الحاضر في كل مكان وتهلك الحرث والنسل -نسأل الله العافية ونجاة المؤمنين-.

قال قوم نوح لنوح إنه: ﴿ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴾ [القمر: ٩]، فدعا ربه أني مغلوب فانتصر ففتح الله أبواب السماء بماء منهمر وفجر الأرض عيونًا فالتقى ماء السماء بماء الأرض على أمر قد قدر وحمل الله نوحًا وقومه على سفينة ذات ألواح ودسر تجري بأمر الله وبأعينه وذلك جزاء من كفر فدعا نوح على أهل الأرض المكذبين قائلاً: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ [نوح: ٢٦ - ٢٧]، وقال الله تعالى عنهم: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٦٤]، لهذا أهلكهم الله لعماهم وشركهم وتكذيبهم لعبده ورسوله نوح عليه السلام.

قال تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٦٤]. أي: عمين عن الحق.

لقد أغرقهم الله عامة بسبب شركهم وتكذيبهم لنوح عليه السلام وإنكارهم لرسالته وللتوحيد فلما يئس منهم دعا عليهم فنزل عليهم مطر عظيم كأفواه القرب وتفجرت الأرض بالعيون وارتفع الماء إلى أعالي الجبال فأنجاه الله ومن آمن معه بالسفينة وأركب معهم من كل الحيوانات زوجين اثنين

وسارت بهم السفينة حتى استوت على الجودي وهو جبل بالموصل شمال العراق ونزلوا هناك بعد جفاف الأرض وهكذا مصير المكذبين المعاندين للرسل المشركين بالله تعالى.

طغيان قوم نوح وإهلاكهم

قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (آل عمران: ٣٣).

ولقد أرسل الله نوحاً إلى قومه ليدعوهم إلى عبادة الله وحده : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (الأعراف: ٥٩).

وكان قوم نوح يعبدون الأصنام فطغوا ، وتمردوا واستكبروا : ﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ (نوح: ٢٣).

وقد دعا نوح قومه ولبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام كما قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ ﴾ (العنكبوت: ١٤).

ولكن قوم نوح لم يستجيبوا له ولم ينتفعوا بنصحه بل أنكر أشرافهم نبوته واتهموه بالكذب وقالوا إن أتباعه من الفقراء والضعفاء الذين لا فكر لهم

ولا رؤية قال تعالى : ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴾ (هود: ٢٧).

واستمر نوح عليه السلام في دعوة قومه وتلطف بهم ودعاهم في كل مناسبة ليلاً ونهاراً سرًّا وجهاراً فما آمن معه إلا قليل أما الأكثرون فقد كذبوه وسخروا منه واتهموه بالجنون وحالوا بينه وبين تبليغ رسالة ربه وهددوه بالرجم إن لم ينته: ﴿ قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴾ (الشعراء: ١١٦).

ولكن نوح لم يبال بتهديدهم فواصل دعوته لهم حتى إذا ضاق ذرعاً باستكبارهم ، واستهزائهم لجأ إلى ربه بهذه الشكوى : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُواْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾ (نوح: ٥ - ١٢).

فلما أيس نوح عليه السلام من إيمان قومه ، وهددوه بالقتل وآذوه ومن آمن معه فما كان منه إلا أن دعا عليهم بقوله : ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ

ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ (نوح: ٢٦ - ٢٧).

وقد استجاب الله دعاء نوح عليه السلام، وقضى بهلاك قوم نوح بالغرق وأمره أن يصنع سفينة النجاة ليركب فيها والمؤمنون معه : ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾ (هود: ٣٦ - ٣٧).

ولما أتم نوح عليه السلام صنع السفينة وظهرت علامات بدء العذاب بتفجير العيون من الأرض ونزول الماء من السماء أمر الله نوحاً بأن يحمل فيها من الأحياء والحيوانات زوجين اثنين ذكراً وأنثى ليبقى ويستمر نسلها كما أمره الله أن يحمل معه أهله ما عدا من كفر منهم ، وهم إحدى زوجاته وأحد أبنائه كما أمر الله أيضاً أن يحمل معه المؤمنين به وهم قليل قال تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴾ (هود: ٤٠ - ٤٣).

ثم أخذت نوحاً عاطفة الشفقة على ولده فطلب من ربه أن ينجيه من الهلاك : ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ (هود: ٤٥ - ٤٦).

ولما أهلك الله الكفار بالغرق أمر الله الأرض أن تبلع الماء وأمر السماء أن تكف عن المطر فاستوت السفينة راسية على جبل الجودي بالموصل و قضي الأمر وأهلك الظالمون : ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (هود: ٤٤).

وبعد أن استوت السفينة على الجبل ، أمر الله نوحاً أن ينزل ومن معه محفوفاً بالسلام والبركات : ﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (هود: ٤٨).

وهكذا نصر الله نوحاً والمؤمنين معه وأهلك من كفر به وجعلهم عبرة للناس : (﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (الأنبياء: ٧٦ - ٧٧).

ثم جعل الله في ذرية نوح وإبراهيم عليهما السلام النبوة و الكتاب كما قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ (الحديد: ٢٦).

أول الرسل نوح عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٣].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال سكين وعدي بن زيد: **"يا محمد، ما نعلم الله أنزل على بشر من شيء بعد موسى فأنزل الله في ذلك ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾** الآيات.(الطبري:١٠٨٤٠-٩/٤٠٠).

وعن أبي ذر قال: "قُلْتُ :يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَمِ الْأَنْبِيَاءُ؟ قَالَ: مِائَةُ أَلْفٍ وَعِشْرُونَ أَلْفًا. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَمِ الرُّسُلُ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَ: ثَلاَثُمِائَةٍ وَثَلاَثَةَ عَشَرَ جَمًّا غَفِيرًا"(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"كَانَ عُمْرُ آدَمَ أَلْفَ سَنَةٍ" قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "وَبَيْنَ آدَمَ وَنُوحٍ أَلْفُ سَنَةٍ، وَبَيْنَ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ أَلْفُ سَنَةٍ، وَبَيْنَ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى سَبْعُمِائَةِ سَنَةٍ، وَبَيْنَ مُوسَى وَعِيسَى خَمْسُمِائَةِ سَنَةٍ، وَبَيْنَ عِيسَى وَمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِتُّمِائَةِ سَنَةٍ"(٢).**

فنوح أبو البشر الثاني وأول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض بعد وقوع الشرك في بني آدم بعبادة الأصنام ثم أهلكهم الله تعالى بالغرق العام وهو

(١) رواه ابن حبان في صحيحه(٣٦١).

(٢) رواه الحاكم في مستدركه(٤١٧٢) ٢/ ٦٥٤.

أطول الرسل عمرًا ولم يصب بهرم ولا عمى ولا صمم وقد كان كامل القوى في البدن والعقل والحواس وكان الناس قبله على الفطرة، ثم ظهر منهم الشرك فأرسل الله إليهم نوحًا لينذر الناس من الشرك ويدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وعن قتادة: **"أن نوحًا بعث من الجزيرة وهودًا من أرض الشحر أرض مهره وصالحًا من الحجر ولوطًا من سدوم وشعيبًا من مدين ومات إبراهيم وآدم وإسحاق ويوسف بأرض فلسطين وقتل يحيى بن زكريا بدمشق"(١).**

والذين عصوا نوحًا أشراف القوم وسادتهم كما هي العادة حيث قالوا: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [الأعراف: ٦٠]، ولبث يدعوهم ألف سنة إلا خمسين عامًا وآمن منهم قرابة المائة فكذبوه .

قال تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا وَقَالُواْ مَجۡنُونٞ وَٱزۡدُجِرَ﴾ [القمر: ٩].

(١) رواه ابن أبي حاتم وابن عساكروانظر الدر المنثور٣/ ٤٨١.

المدة التي بين نوح وآدم

عن زيد بن سلام،قال سمعت أبا سلام، قال: سمعت أبا أمامة:

أن رجلاً قال: يا رسول الله، أنبي كان آدم؟

قال: نعم، مكلم.

قال: فكم كان بينه وبين نوح؟

قال: عشرة قرون. (ابن حبان: ٦١٩٠)

وفي تفسير الطبري عن عكرمة قال: كان بين آدم ونوح، عشرة قرون كلهم على الإسلام.(الطبري: ٢٣/٦٣٩)

فإن كان المراد بالقرن مائة سنة – كما هو المتبادر عند كثير من الناس – فبينهما ألف سنة.

وإن كان المراد بالقرن، الجيل من الناس، كما في قوله تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ﴾ (الإسراء: ١٧).

فقد كان الجيل قبل نوح، يعمرون الدهر الطويلة، فعلى هذا يكون بين آدم ونوح، ألوف من السنين، والله أعلم.

بعثته عليه السلام

فنوح عليه السلام، إنما بعثه الله تعالى، لما عبدت الأصنام والطواغيت، وشرع الناس في الضلالة والكفر، فبعثه الله رحمة للعباد، فكان أول رسول، بعث إلى أهل الأرض، كما يقول له أهل الموقف يوم القيامة. وكان قومه يقال لهم: بنو راسب، فيما ذكره ابن جرير، وغيره. (الطبري ١/ ١٧٤، ١٧٩).

وقد ذكر الله قصته، وما كان من قومه، وما أنزل بمن كفر به من العذاب بالطوفان، وكيف أنجاه وأصحاب السفينة في غير ما موضع من كتابه العزيز.

قال تعالى في سورة هود: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴾ (هود: ٢٥ - ٢٧).

لما انتشر الفساد في الأرض، وعم البلاد بعبادة الأصنام فيها، بعث الله عبده ورسوله نوحاً عليه السلام، يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له،

وينهى عن عبادة ما سواه. فكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، كما ثبت عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة قال:

((أبوكم آدم فيأتونه فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، وأسكنك الجنة، ألا تشفع لنا إلى ربك؟ ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا؟

فيقول: ربي غضب غضباً، لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، ونهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح.

فيأتون نوحاً، فيقولون: يا نوح، أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وسماك الله عبداً شكوراً، أما ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما بلغنا؟ ألا تشفع لنا إلى ربك عز وجل؟

فيقول: ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، نفسي نفسي...)). (البخاري: ٣٣٤٠)

أسباب الشرك لدى قوم نوح

كان في قوم نوح رجال صالحون يعبدون الله تعالى وكان لهم أتباع يتبعونهم فلما ماتوا أوحى الشيطان إلى قوم نوح العباد أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد أول الأمر فلما هلك أولئك وانتسخ العلم عبدت ثم سرى ذلك فيما يعبد العرب وسول الشيطان لهم بأن هذه الصور كانت تعبد من دون الله أو أن هذه الصور تعينكم على عبادة الله وتشوقكم للعبادة وتذكركم بهم.

وهكذا ضرر الصور وضرر البدع وضرر تقديس الذات والغلو في العباد وضرر التماثيل وقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه لما ذكرت عنده أم سلمة وأم حبيبة تلك الكنائس التي رأتها قال: **"أُولَئِكَ قَوْمٌ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ العَبْدُ الصَّالِحُ، أَوِ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، أُولَئِكَ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ"**(١).

وقد أشرب قوم نوح بعبادة هذه الصور وطلب الشفاعة منها وسؤالها من دون الله تعالى أو التوسل بها قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا ﴾ [نوح: ٢٣ - ٢٤].

(١) البخاري في الصلاة (٤٣٤)، ومسلم في المساجد (١٦ / ٥٢٨).

موقف نوح من قومه وموقفهم منه

قال تعالى عن نوح عليه السلام : ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾ (الصافات: ٧٧).

وقال فيه، وفي إبراهيم: ﴿ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ﴾ (الحديد: ٢٦).

أي: كل نبي من بعد نوح، فمن ذريته وكذلك إبراهيم.

وقال: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ۝١٢ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ (نوح: ٥ - ١٤).

فذكر أنه دعاهم إلى الله بأنواع الدعوة في الليل، والنهار، والسر، والإجهار، بالترغيب تارة، والترهيب أخرى. وكل هذا فلم ينجح فيهم بل استمر أكثرهم على الضلالة والطغيان، وعبادة الأصنام والأوثان، ونصبوا له العداوة في كل وقت وأوان، وتنقصوه وتنقصوا من آمن به، وتوعدوهم بالرجم والإخراج، ونالوا منهم وبالغوا في أمرهم.

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ ﴾ (الأعراف: ٦٠) أي: السادة الكبراء منهم:

﴿ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الأعراف: ٦٠ - ٦١).

أي: لست كما تزعمون من أني ضال، بل على الهدى المستقيم، رسول من رب العالمين أي: الذي يقول للشيء كن فيكون.

﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف: ٦٢).

وهذا شأن الرسول أن يكون بليغاً أي فصيحاً ناصحاً، أعلم الناس بالله عز وجل.

وقالوا له فيما قالوا: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴾ (هود: ٢٧).

تعجبوا أن يكون بشراً رسولاً، وتنقصوا بمن اتبعه، ورأوهم أراذلهم.

وقد قيل: إنهم كانوا من أقياد الناس، وهم ضعفاؤهم كما قال هرقل وهم أتباع الرسل، وما ذاك إلا لأنه لا مانع لهم من اتباع الحق.

وقولهم: ((بادي الرأي)) أي: بمجرد ما دعوتهم استجابوا لك من غير نظر ولا روية، وهذا الذي رموهم به هو عين ما يمدحون بسببه رضي الله

عنهم، فإن الحق الظاهر لا يحتاج إلى روية، ولا فكر، ولا نظر، بل يجب اتباعه والانقياد له متى ظهر.

ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مادحاً للصديق:

((ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت له منه عنده كبوة إلا ابن أبي قحافة، فإنه لم يتلعثم)) (الإبانة الكبرى (٩٩) ٤٥٢/٩).

وقال كفرة قوم نوح له ولمن آمن به: ﴿ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴾ (هود: ٢٧).

أي: لم يظهر لكم أمر بعد اتصافكم بالإيمان، ولا مزية علينا.

﴿ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴾ (هود: ٢٧ - ٢٨).

وهذا تلطف في الخطاب معهم، وترفق بهم في الدعوة إلى الحق، كما قال تعالى:

﴿ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل: ١٢٥).

وهذا منه يقول لهم: ﴿ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ ﴾ (هود: ٢٨).

أي: النبوة والرسالة.

﴿ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ ﴾ (هود: ٢٨) أي: فلم تفهموها، ولم تهتدوا إليها.

﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا ﴾ (هود: ٢٨) أي: أنغصبكم بها، ونجبركم عليها.

﴿ وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴾ (هود: ٢٨) أي: ليس لي فيكم حيلة، والحالة هذه.

﴿ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ﴾ (هود: ٢٩) أي: لست أريد منكم أجرة على إبلاغي إياكم، ما ينفعكم في دنياكم، وأخراكم، إن أطلب ذلك إلا من الله، الذي ثوابه خير لي، وأبقى مما تعطونني أنتم.

وقوله: ﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾ (هود: ٢٩).

كأنهم طلبوا منه أن يبعد هؤلاء عنه، ووعدوه أن يجتمعوا به إذا هو فعل ذلك، فأبى عليهم ذلك.

وقال: ﴿ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ ﴾ (هود: ٢٩) أي: فأخاف إن طردتهم أن يشكوني إلى الله عز وجل.

ولهذا قال: ﴿ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ ﴾ (هود: ٣٠).

﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ ﴾ (هود: ٣١).

أي: بل أنا عبد رسول، لا أعلم من علم الله، إلا ما أعلمني به، ولا أقدر إلا على ما أقدرني عليه، ولا أملك لنفسي نفعاً ولا ضرًّا إلا ما شاء الله.

﴿ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ ﴾ (هود: ٣١) يعني من أتباعه.

﴿ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّيٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (هود: ٣١).

أي: لا أشهد عليهم بأنهم لا خير لهم، عند الله يوم القيامة، الله أعلم بهم، وسيجازيهم على ما في نفوسهم، إن خيراً فخير، وإن شرًّا فشر.

وقد تطاول الزمان، والمجادلة بينه وبينهم، كما قال تعالى: ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ (العنكبوت: ١٤).

وكان كل ما انقرض جيل، وصُّوا من بعدهم بعدم الإيمان به، ومحاربته، ومخالفته.

وكان الوالد إذا بلغ ولده، وعقل عنه كلامه، وصَّاه فيما بينه وبينه، أن لا يؤمن بنوح أبداً، ما عاش، ودائماً ما بقي، وكانت سجاياهم تأبى الإيمان، واتباع الحق، ولهذا قال: ﴿ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ (نوح: ٢٧).

ولهذا قالوا: ﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ (هود: ٣٢ - ٣٣).

أي: إنما يقدر على ذلك الله عز وجل، فإنه الذي لا يعجزه شيء، ولا يكترثه أمر، بل هو الذي يقول للشيء كن فيكون.

﴿ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (هود: ٣٤).

أي: من يرد الله فتنته، فلن يملك أحد هدايته، هو الذي يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، وهو الفعال لما يريد، وهو العزيز الحكيم العليم، بمن يستحق الهداية، ومن يستحق الغواية. وله الحكمة البالغة، والحجة الدامغة.

﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ (هود: ٣٦).

وهذه تعزية لنوح عليه السلام، في قومه أنه لن يؤمن منهم إلا من قد آمن أي لا يسوأنك ما جرى؛ فإن النصر قريب والنبأ عجيب.

خوف نوح عليه السلام من الله تعالى

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة قال: **"فَيَأْتُونَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَيَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ أَبُو البَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ المَلاَئِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ**

يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي"(١). إلى آخر الحديث

لقد دعا نوح قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له ونهاهم عن الشرك والمعاصي وحذرهم من مغبة ذلك وجادل وحاور وتحمل الأذى والإهانة من قومه وصبر وصابر وجاهد في الله حق جهاده ألف سنة إلا خمسين عامًا.

﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىٰٓ ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٤ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ۝١٢ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ [نوح: ٢ - ١٤].

(١) البخاري في كتاب التفسير (٤٧١٢)، ومسلم في الإيمان (١٩٤ / ٣٢٧).

لقد بذل وسعه في دعوتهم ليلاً ونهارًا وسرًّا وجهرًا وترغيبًا وترهيبًا وتحمل الأذى وتوعدوه بالرجم والإخراج من البلد وقالوا عنه: إنه ضال واستضعفوه واستهانوا به واستهزأوا وآذوا أتباعه وقالوا له: إنك بشر مثلنا وأن الذين اتبعوك بادي الرأي أراذلنا وليس لكم فضل علينا فأنت كاذب ومن معك كاذبون.

قال تعالى أنهم قالوا: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأعراف: ٦٠]، وقالوا: ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾ [هود: ٢٧]، وكان يجيبهم نوح عليه السلام كما قال الله تعالى عنه: ﴿لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٦١ - ٦٢]، وقوله: ﴿أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾ [هود: ٢٨]، وقوله: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّيٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ٣١].

نوح عليه السلام وموقف قومه منه

قال أبو أمامة: **أَنَّ رَجُلاً، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَبِيٌّ كَانَ آدَمُ؟ قَالَ: " نَعَمْ، مُكَلَّمٌ" ، قَالَ: فَكَمْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نُوحٍ؟ قَالَ: "عَشَرَةُ قُرُونٍ"**(١).

وفي الطبقات عن عكرمة رضي الله عنهما قال: **"كَانَ بَيْنَ آدَمَ وَنُوحٍ عَشْرَةُ قُرُونٍ كُلُّهُمْ عَلَى الْإِسْلاَمِ"**.(الطبقات١/٤٢)

قال العلماء: الذين كانوا على الإسلام مدتهم عشرة قرون والذين كانوا على الشرك عشرة قرون فلا تناقض بين الحديثين وقد بعث الله تعالى نوحًا لما عبدت الأصنام والطواغيت وضل الناس وكفروا وهو أول رسول بعث إلى أهل الأرض كما يقول له أهل الموقف يوم القيامة(٢).

وقد عذب قومه بالطوفان الذي أغرقهم إلا ما شاء الله ولبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا يدعوهم فلم يؤمن به إلا القليل قالوا له: ﴿ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأعراف: ٦٠]، وكذبوه وكبر عليهم مقامه وتذكيره بآيات الله وتولوا وأعرضوا وكذبوا وقالوا له: ﴿ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴾ [هود: ٢٧].

---

(١) حديث صحيح رواه ابن حبان (٦١٩٠).

(٢) صحيح البخاري في الأنبياء (٣٣٤٠).

وازدروا مهنته التجارة وازدروا قومه وسخروا منه وكفر ابنه وقالوا: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ [المؤمنون: ٢٤]، وقالوا: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١]، وطلبوا طردهم من مجالسه وهددوه بالرجم وصار في كرب عظيم وقالوا: ﴿مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ﴾ [القمر: ٩]، وما زادتهم دعوته إلا فرارًا من الحق وعنادًا حيث ﴿جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا﴾ [نوح: ٧]، ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢١ - ٢٣]، وردوا أيديهم في أفواههم وقالوا: إنا كفرنا بما أرسلت به وإنا لفي شك مما تدعونا إليه مريب ،وهموا بقتله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فهم أظلم الناس وأطغاهم.

قال تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾ [النجم: ٥٢].

وقال تعالى عنهم: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦].

التوحيد دعوة نوح

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[النحل: ٣٦]، وقال: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥]، وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن

رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال نوح لقومه: ﴿ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾ [المؤمنون: ٢٣]، وقال: ﴿ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴾ [نوح: ٢ - ٣]، وقال: ﴿ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ﴾ [هود: ٢٦]، وقال: ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [المؤمنون: ٢٣].

والآيات في ذلك كثيرة ومجادلته لقومه ومحاورته في مدة ألف سنة إلا خمسين عامًا تكررت في القرآن الكريم فقد بين لهم أنه لا يسألهم مالًا إن أجره إلا على الله تعالى وقال: لن أطرد الذين طلبتم طردهم من المؤمنين المستضعفين وقال: ﴿ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [هود: ٣٠]، ونفى عن نفسه علم الغيب وملك خزائن الله ونفى أن يكون ملكًا ونفى عن أتباعه الشر والتهم التي اتهمه فيها قومه الكافرون ولما كثر جداله قالوا له: ﴿ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [هود: ٣٢]، ثم أوحى الله إليه أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن فلا يحزن عليهم وأمره بصناعة الفلك ونجاه الله ومن معه من الغرق ونصره عليهم فأغرقوا وأدخلوا نارًا ودعا عليهم نوح عليه السلام قائلاً: ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارًا ﴾ [نوح: ٢٦ - ٢٧].

وبكفر قوم نوح أغرقهم الله بالطوفان فاجتمع فيهم الكفر بالله والكفر بنوح عليه السلام ودعا نوح عليهم فأمره الله بصناعة الفلك وكلما مر عليه ملأ

من قومه سخروا منه وأتاهم العذاب الذي أخزاهم وأغرقهم وهم أشد الأمم عنادًا وكفرًا حتى في الآخرة يجحدون أن يكون جاءهم نذير فتشهد أمة محمد على شهادة نبيها بالحق بأن نوحًا أنذرهم.

روى البخاري **عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يُجَاءُ بِنُوحٍ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، يَا رَبِّ، فَتُسْأَلُ أُمَّتُهُ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا جَاءَنَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيَقُولُ: مَنْ شُهُودُكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَيُجَاءُ بِكُمْ، فَتَشْهَدُونَ"**(١).

ما ورد عن صفات السفينة

في تاريخ الأمم والملوك (١ / ١٨٣): أمر الله نوحًا أن يغرس شجرة ليعمل منها السفينة فغرسها وانتظر مائة سنة ثم نجر الخشب في مائة أخرى وقيل: أربعين سنة وقيل: إنها من الساج وقيل: من الصنوبر وكان طولها كما قال الثوري: ثمانين ذراعًا وعرضها خمسين طُلِيَ ظاهرها وباطنها بالقار وجعل لها جؤجؤًا أزور أي: صدرًا مائلاً يشق الماء.

(١) البخاري (٧٣٤٩).

قال قتادة: كان طولها ثلاثمائة ذراع في عرض خمسين ذراعًا كما في التوراة.

وقال الحسن البصري: ستمائة في عرض ثلاثمائة. وعن ابن عباس: ألف ومائتا ذراع في عرض ستمائة ذراع. وقيل: كان طولها ألفي ذراع وعرضها مائة ذراع وكلهم قالوا: كان ارتفاعها ثلاثين ذراعًا وكانت ثلاث طبقات كل واحدة عشرة أذرع فالسفلي للدواب والوحوش والوسطى للناس والعليا للطيور وكان بابها في عرضها ولها غطاء من فوقها مطبق عليها وحمل عليها من كل زوجين اثنين من كل ما فيه روح وحمل أهله إلا من كفر وسبق عليه القول منهم.

قيل: إن الذي معه في السفينة ثمانون نفسًا. وقيل: اثنين وسبعين نفسًا. وقيل: عشرة. وقيل: كانوا نوحًا وبنيه الثلاثة وكنائنه أي: امرأة ابنائه وإخوته الأربعة وامرأة يام الذي انخزل وسلك طريق الكفار.

وأمر الله نوحًا أن يحمد الله إذا استوى على السفينة هو ومن معه قال تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴾ [المؤمنون: ٢٨ - ٢٩]، وأمره أن يذكر نعمة الله ويقول: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴾ [الزخرف: ١٣ - ١٤]، وقال: ﴿ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [هود: ٤١].

وجرت السفينة بأعين الله كما قال تعالى: ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾ [القمر: ١٤].

ابن نوح يأم

هذا الابن كفر بالله تعالى وبنبوة أبيه وعمل أعمالًا غير صالحة مخالفًا دين أبيه فأهلكه الله بالغرق قال تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴾ [هود: ٤٢ - ٤٣].

ظن المسكين أن الجبل سيعصمه من الماء ولم يلجأ إلى رحمة الله فحال الموج بينه وبين أبيه فغرق قيل: إن الماء ارتفع على أعلى جبل من الأرض خمسة عشر ذراعًا. وقيل: ثمانين ذراعًا وعم جميع الأرض طولها وعرضها سهلها وحزنها جبالها وقفارها ورمالها وغرق كل من في الأرض إلا الذين حملهم نوح بالسفينة.

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: «لم تكن بقعة في الأرض إلا ولها ملك حائز فقد كان أهل ذلك الزمان قد ملئوا السهل والجبل»(١).

(١) روى ذلك ابن أبي حاتم في الدر المنثور للسيوطي (٣ / ٩٥).

﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [هود: ٤٥ - ٤٦]، بعد ذلك غاض الماء ونقص ورست السفينة على الجودي وهو جبل عال ونجا الله نوحًا ومن معه وجعلهم خلائف ونصره على القوم المكذبين فصارت السفينة آية للمعتبرين ولم يبق في الأرض كافر.

روت عائشة أم المؤمنين رحمها الله: **«لو رحم الله أحدًا من قوم نوح لرحم أم الصبي»**. التي رفعت بيديها ابنها خشية غرقه فغرقت وغرق ابنها(١).

ذرية نوح هم من بعده وليس في الأرض غيرهم

قال تعالى: وجعلنا ذريته هم الباقين فكل من على وجه الأرض من الأجناس ذرية لنوح فهم من أصل واحد تناسلوا من صلب أبنائه الثلاثة سام وحام ويافث.

عَنْ سَمُرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ: «سَامُ أَبُو الْعَرَبِ، وَحَامُ أَبُو الْحَبَشِ، وَيَافِثُ أَبُو الرُّومِ»(٢).

---

(١) حديث غريب ذكره ابن جرير في التفسير (١٢ / ٢١) وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣ / ٣٢٧) إلى ابن أبي حاتم، والله أعلم.

(٢) صحيح رواه أحمد (٢٠٠٩٩) والترمذي (٣٢٣١).

وقال سعيد بن المسيب عن النبي ﷺ: **«العرب وفارس والروم أولاد سام ويأجوج ومأجوج والترك والصقالبة أولاد يافث وولد حام القبط والبربر والسودان»**(١).

نوح عليه السلام عبد شكور

قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ [الإسراء: ٣]، قيل: إنه كان يسمي الله على طعامه وشرابه ولباسه وشأنه كله وكان يصوم الدهر.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «صَامَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلاَمُ الدَّهْرَ إِلَّا يَوْمَ الْفِطْرِ وَالْأَضْحَى، وَصَامَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ نِصْفَ الدَّهْرِ، وَصَامَ إِبْرَاهِيمُ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، صَامَ الدَّهْرَ، وَأَفْطَرَ الدَّهْرَ»(٢). أي: صام الدهر وأفطر الدهر.

(١) كشف الستار (٢١٨) والمجمع للهيثمي (١/١٩٨) وفيه محمد بن يزيد بن سنان الرهاوي ضعيف ووثقه ابن حبان وضعفه البخاري ويحيى بن معين.

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٣٧٠) وقال: ضعيف.

حجة نوح عليه السلام

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: حج رسول الله ﷺ فلما بلغ وادي عسفان قال: «يا أبا بكر أي واد هذا؟ قال: هذا وادي عسفان. قال: لقد مر به هود وصالح على بكرات حمر خطمها الليف، أزرهم العباء، وأرديتهم النمار، يلبون يحجون البيت العتيق»(١).

وصية نوح عليه السلام لولده

عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، عَلَيْهِ جُبَّةٌ سِيجَانٍ مَزْرُورَةٌ بِالدِّيبَاجِ، فَقَالَ: أَلَا إِنَّ صَاحِبَكُمْ هَذَا قَدْ وَضَعَ كُلَّ فَارِسٍ ابْنِ فَارِسٍ قَالَ: يُرِيدُ أَنْ يَضَعَ كُلَّ فَارِسٍ ابْنِ فَارِسٍ، وَيَرْفَعَ كُلَّ رَاعٍ ابْنِ رَاعٍ قَالَ: فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَجَامِعِ جُبَّتِهِ، وَقَالَ: «أَلَا أَرَى عَلَيْكَ لِبَاسَ مَنْ لَا يَعْقِلُ ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ نَبِيَّ اللهِ نُوحًا ﷺ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِابْنِهِ: إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ: آمُرُكَ بِاثْنَتَيْنِ، وَأَنْهَاكَ عَنِ اثْنَتَيْنِ، آمُرُكَ بِلاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَإِنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ، لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ، وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّةٍ، رَجَحَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ، كُنَّ

(١) رواه أحمد (٢٠٦٧ / ٢٣٣) وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده ضعيف لضعف زمعة بن صالح.

حَلْقَةً مُبْهَمَةً، قَصَمَتْهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، فَإِنَّهَا صَلاَةُ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِهَا يُرْزَقُ الْخَلْقُ، وَأَنْهَاكَ عَنِ الشِّرْكِ وَالْكِبْرِ. قَالَ: قُلْتُ أَوْ قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ: هَذَا الشِّرْكُ قَدْ عَرَفْنَاهُ، فَمَا الْكِبْرُ؟ قَالَ: الْكِبْرُ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا نَعْلاَنِ حَسَنَتَانِ لَهُمَا شِرَاكَانِ حَسَنَانِ قَالَ: «لَا» قَالَ: هُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا حُلَّةٌ يَلْبَسُهَا؟ قَالَ: «لَا» قَالَ: الْكِبْرُ هُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا دَابَّةٌ يَرْكَبُهَا؟ قَالَ: «لَا» قَالَ: أَفَهُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا أَصْحَابٌ يَجْلِسُونَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: «لَا» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَمَا الْكِبْرُ؟ قَالَ: «سَفَهُ الْحَقِّ، وَغَمْصُ النَّاسِ»(١).

وفاة نوح عليه السلام

توفي عليه السلام وبعد أن دعا قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا قيل: إنه بعث وعمره أربعمائة عام وثمانون وأنه عاش بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين عامًا فيكون قد عاش على هذا ألف عام وسبعمائة وثمانين.

قيل: إنه دفن في المسجد الحرام. وقيل: إنه دفن في بلده البقاع كرك نوح.

والله أعلم

(١) إسناده صحيح ولم يخرجوه صحيح أحمد (٢ / ١٦٩، ١٧٠) وقال الشيخ أحمد شاكر (٦٥٨٣): إسناده صحيح.

صنع السفينة و الطوفان

﴿ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴾ (هود: ٣٧).

وذلك أن نوحاً عليه السلام، لما يئس من صلاحهم، وفلاحهم، ورأى أنهم لا خير فيهم، وتوصلوا إلى أذيته ومخالفته، وتكذيبه، بكل طريق من فعال، ومقال، دعا عليهم دعوة غضب، فلبى الله دعوته، وأجاب طلبته، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٞ فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ ٧٥ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ (الصافات: ٧٥ - ٧٦).

وقال تعالى: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ﴾ (القمر: ١٠).

فاجتمع عليهم خطاياهم من كفرهم، وفجورهم، ودعوة نبيهم عليهم، فعند ذلك أمره الله تعالى أن يصنع الفلك؛ وهي السفينة العظيمة التي لم يكن لها نظير قبلها، ولا يكون بعدها مثلها.

وقدم الله تعالى إليه أنه: إذا جاء أمره، وحلَّ بهم بأسه، الذي لا يرد عن القوم المجرمين، أنه لا يعاوده فيهم، ولا يراجعه، فإنه لعله قد تدركه رقة على قومه عند معاينة العذاب النازل بهم، فإنه ليس الخبر كالمعاينة.

ولهذا قال: ﴿ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۖ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ ﴾ (هود: ٣٧ - ٣٨).

أي: يستهزئون به استبعاد الوقوع ما توعدهم به.

﴿ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ﴾ (هود: ٣٨).

أي: نحن الذين نسخر منكم، ونتعجب منكم، في استمراركم على كفركم، وعنادكم، الذي يقتضي وقوع العذاب بكم، وحلوله عليكم.

﴿ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴾ (هود: ٣٩).

شهادة أمة محمد صلى الله عليه وسلم لنوح عليه السلام بأنه بلغ الرسالة.

وقد كانت سجاياهم: الكفر الغليظ، والعناد البالغ في الدنيا. وهكذا في الآخرة، فإنهم يجحدون أيضاً، أن يكون جاءهم رسول.

عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((يجيء نوح عليه السلام وأمته،

فيقول الله عز وجل: هل بلغت؟

فيقول: نعم، أي رب.

فيقول لأمته: هل بلغكم؟

فيقولون: لا، ما جاءنا من نبي.

فيقول لنوح: من يشهد لك؟

فيقول: محمد وأمته، فنشهد أنه قد بلغ)) (البخاري: ٣٣٣٩)

وهو قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة: ١٤٣).

أمر الله تعالى لنبيه نوح عليه السلام ومن معه بالذكر والحمد عند ركوب الفلك.

قال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴾ (المؤمنون: ٢٨ - ٢٩).

أمره أن يحمد ربه، على ما سخر له من هذه السفينة، فنجاه بها، وفتح بينه وبين قومه، وأقر عينه ممن خالفه وكذبه.

كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴾ (الزخرف: ١٢ - ١٤).

وهكذا يؤمر بالدعاء في ابتداء الأمور، أن يكون على الخير والبركة، وأن تكون عاقبتها محمودة.

وقد امتثل نوح عليه السلام هذه الوصية ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (هود: ٤١).

أي: على اسم الله ابتداء سيرها، وانتهاؤه.

قال الله تعالى: ﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ﴾ (هود: ٤٢) وذلك أن الله تعالى أرسل من السماء مطراً، لم تعهده الأرض قبله، ولا تمطره بعده، كان كأفواه القرب، وأمر الأرض فنبعت من جميع فجاجها، وسائر أرجائها، كما قال تعالى: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾ (القمر: ١١ - ١٣).

والدسر: يعنى المسامير.

وتجري بأعيننا، أي: بحفظنا، وكلاءتنا، وحراستنا، ومشاهدتنا لها جزاء لمن كان كفر.

وقد ذكر ابن جرير، وغيره، أن الطوفان كان في ثالث عشر، شهر آب، في حساب القبط.

وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾ (الحاقة: ١١). أي: السفينة.

﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ (الحاقة: ١٢).

قال جماعة من المفسرين: ارتفع الماء على أعلى جبل بالأرض، خمسة عشر ذراعاً، وهو الذي عند أهل الكتاب.

وقيل: ثمانين ذراعاً، وعمَّ جميع الأرض طولها وعرضها، سهلها، وحزنها، وجبالها، وقفارها، ورمالها، ولم يبق على وجه الأرض، ممن كان بها من الأحياء، عين تطرف، ولا صغير، ولا كبير.

قال الإمام مالك، عن زيد بن أسلم: كان أهل ذلك الزمان، قد ملأوا السهل، والجبل و لم تكن بقعة في الأرض، إلا ولها مالك، وحائز.

﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴾ (هود: ٤٢ - ٤٣).

وهذا الابن هو: يام أخو سام، وقيل: اسمه كنعان.

وكان كافراً عمل عملاً غير صالح، فخالف أباه في دينه ومذهبه، فهلك مع من هلك.

هذا وقد نجا مع أبيه، الأجانب في النسب، لما كانوا موافقين في الدين والمذهب.

﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (هود: ٤٤).

أي: لما فرغ من أهل الأرض، ولم يبق منها أحد ممن عبد غير الله عز وجل، أمر الله الأرض أن تبلع ماءها، وأمر السماء أن تقلع أي تمسك عن المطر.

وقال تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾ (يونس: ٧٣).

ثم قال تعالى: ﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (هود: ٤٨).

هذا أمر لنوح عليه السلام، لما نضب الماء عن وجه الأرض، وأمكن السعي فيها، والاستقرار عليها، أن يهبط من السفينة التي كانت قد استقرت بعد سيرها العظيم، على ظهر جبل الجودي، وهو جبل بأرض الجزيرة مشهور.

﴿ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ ﴾ (هود: ٤٨) أي: اهبط سالماً مباركاً عليك، وعلى أمم ممن سيولد بعد، أي من أولادك، فإن الله لم يجعل لأحد ممن كان معه من المؤمنين نسلاً ولا عقباً سوى نوح عليه السلام.

قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾ (الصافات: ٧٧) فكل من على وجه الأرض اليوم، من سائر أجناس بني آدم، ينسبون إلى أولاد نوح الثلاثة، وهم: سام، وحام، ويافث.

روى أن النبي ﷺ قال: ((سام أبو العرب، وحام أبو الحبش، ويافث أبو الروم)). (ورواه الترمذي ٣٢٣١ والألباني ضعفه).

عن ابن عباس، قال: كان مع نوح في السفينة ثمانون رجلاً معهم أهلوهم، وإنهم كانوا في السفينة مائة وخمسين يوماً، وإن الله وجَّه السفينة إلى مكة، فدارت بالبيت أربعين يوماً، ثم وجَّهها إلى الجودي فاستقرت عليه.

فبعث نوح عليه السلام الغراب، ليأتيه بخبر الأرض، فذهب فوقع على الجيف فأبطأ عليه.

فبعث الحمامة فأتته بورق الزيتون، ولطخت رجليها بالطين، فعرف نوح أن الماء قد نضب، فهبط إلى أسفل الجودي، فابتنى قرية وسماها ثمانين، فأصحبوا ذات يوم، وقد تبلبلت ألسنتهم على ثمانين لغة، إحداها العربي، وكان بعضهم لا يفقه كلام بعض، فكان نوح عليه السلام يعبر عنهم.

وقال قتادة وغيره: ركبوا في السفينة في اليوم العاشر من شهر رجب، فساروا مائة وخمسين يوماً، واستقرت بهم على الجودي شهراً. وكان خروجهم من السفينة في يوم عاشوراء من المحرم.

عن ابن عباس قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة، فرأى اليهود يصومون يوم عاشوراء فقال:

((ما هذا اليوم الذي تصومون؟))

قالوا: هذا يوم صالح هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم، قال: فصامه موسى.

قال رسول الله ﷺ: ((أنا أحق بموسى منكم)، قال: فصامه رسول الله ﷺ وأمر بصومه (أحمد: ٢٦٤٤).

وقال لأصحابه: من كان أصبح منكم صائماً فليتم صومه، ومن كان من غداء أهله، فليتم بقية يومه)). (أحمد: ٨٧١٦)

وهذا الحديث له شاهد في الصحيح من وجه آخر.

(ذكر شيء من أخبار نوح نفسه عليه السلام و عبادته)

قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ (الإسراء: ٣).

قيل: أنه كان يحمد الله على طعامه وشرابه ولباسه وشأنه كله.

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى اللَّه عليه وسلم: "إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها". (مسلم: ٢٧٣٤)

فضائل نوح عليه السلام

١- أنه أول رسول بعثه الله للناس وكان بينه وبين آدم عشرة قرون كانوا على التوحيد قال تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ﴾ [الإسراء: ١٧]، فلما ظهر الشرك في الأرض أرسل الله نوحًا.

عن أبي هريرة رضي الله عنه في حديث الشفاعة وفيه: **«فيأتون نوحًا فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض»**(١) ... إلى آخر الحديث.

٢- إن الله سماه عبدًا شكورًا فقال: ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ [الإسراء: ٣]، فقد عرف نعم الله واستعملها على الوجه اللائق بها وكان الشكر سبب إنجائه ومن معه.

قال الزمخشري: «كان إذا أكل قال: الحمد لله الذي أطعمني ولو شاء أجاعني وإذا شرب قال: الحمد لله الذي سقاني ولو شاء أظمأني وإذا اكتسى قال: الحمد لله الذي كساني ولو شاء أعراني»(٢).

وقال ابن كثير: **«الشَّكُورَ هُوَ الَّذِي يَعْمَلُ بِجَمِيعِ الطَّاعَاتِ الْقَلْبِيَّةِ وَالْقَوْلِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ»**(١).

---

(١) رواه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤).

(٢) الكشاف (٢ / ٦٤٨).

٣- هو أحد أولي العزم من الرسل قال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ﴾[الشورى: ١٣]. وقال: ﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ﴾ [الأحزاب: ٧].

٤ - أن الله جعل في ذريته النبوة والكتاب قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا وَإِبۡرَٰهِيمَ وَجَعَلۡنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ ﴾ [الحديد: ٢٦]، فكل الأنبياء والرسل من ذريته عليه السلام.

٥ - إن الله استجاب دعاءه ونجاه من الكرب العظيم وجعل ذريته هم الباقين قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٞ فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ ﴾ [الصافات: ٧٥].

٦ - إن الله جعل له الذكر الحسن قال تعالى: ﴿ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِى ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الصافات: ٧٨ - ٧٩].

٧ - أن الباقين في الأرض كلهم إلى اليوم من ذريته قال تعالى: ﴿ وَجَعَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلۡبَاقِينَ ﴾ [الصافات: ٧٧]. قيل: إن كل من في السفينة مات إلا أبناؤه الثلاثة سام وحام ويافث وأزواجهم.

قال ﷺ: «**سَامٌ أَبُو العَرَبِ، وَحَامٌ أَبُو الحَبَشِ، وَيَافِثُ أَبُو الرُّومِ**»(٢).

---

(١) قصص الأنبياء (٩١).

(٢) رواه الترمذي(٣٢٣١) وصححه.

٨- ثبت تحية السلام في نوح من الملائكة والثقلين وهي كرامة لبقاء ذكره وتسليم العالمين عليه لأنه محسن عبد مؤمن موقن.

قال تعالى: ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[الصافات: ٧٨- ٨١].

ذكر صومه عليه السلام

عن عبد الله بن عمرو يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

"صام نوح الدهر إلا يوم الفطر والأضحى، وصام داود نصف الدهر، وصام إبراهيم ثلاثة أيام من كل شهر". (شعب الإيمان للبيهقي: ٣٨٤٦ وقال: ضعيف)

بابُ مَا جَاءَ فِي صِيَامِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ

حَدَّثَنَا سَهْلُ بْنُ أَبِي سَهْلٍ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ عَنِ ابْنِ لَهِيعَةَ، عَنْ جَعْفَرِ ابْنِ رَبِيعَةَ، عَنْ أَبِي فِرَاسٍ: أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «صَامَ نُوحٌ الدَّهْرَ، إِلَّا يَوْمَ الْفِطْرِ وَيَوْمَ الْأَضْحَى»(١).

(١) سنن ابن ماجه (١٧١٤).

حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ شُبَيْلٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِأُنَاسٍ مِنَ الْيَهُودِ قَدْ صَامُوا يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَقَالَ: «مَا هَذَا مِنَ الصَّوْمِ؟» قَالُوا: هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي نَجَّى اللهُ مُوسَى وَبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْغَرَقِ، وَغَرَّقَ فِيهِ فِرْعَوْنَ، وَهَذَا يَوْمُ اسْتَوَتْ فِيهِ السَّفِينَةُ عَلَى الْجُودِيِّ، فَصَامَ نُوحٌ وَمُوسَى شُكْرًا لِلَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى، وَأَحَقُّ بِصَوْمِ هَذَا الْيَوْمِ»، فَأَمَرَ أَصْحَابَهُ بِالصَّوْمِ(١).

حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا تَقُولُونَ فِي هَؤُلَاءِ الْأَسْرَى؟» قَالَ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَوْمُكَ وَأَهْلُكَ، اسْتَبْقِهِمْ، وَاسْتَأْنِ بِهِمْ، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ، قَالَ: وَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْرَجُوكَ وَكَذَّبُوكَ، قَرِّبْهُمْ فَاضْرِبْ أَعْنَاقَهُمْ، قَالَ: وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ: يَا رَسُولَ اللهِ، انْظُرْ وَادِيًا كَثِيرَ الْحَطَبِ، فَأَدْخِلْهُمْ فِيهِ، ثُمَّ أَضْرِمْ عَلَيْهِمْ نَارًا قَالَ: فَقَالَ الْعَبَّاسُ: قَطَعْتَ رَحِمَكَ، قَالَ: فَدَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ شَيْئًا، قَالَ: فَقَالَ نَاسٌ: يَأْخُذُ بِقَوْلِ أَبِي بَكْرٍ، وَقَالَ نَاسٌ: يَأْخُذُ

(١) مسند أحمد (٨٧١٧).

بِقَوْلِ عُمَرَ، وَقَالَ نَاسٌ: يَأْخُذُ بِقَوْلِ عَبْدِ اللهِ بْنِ رَوَاحَةَ، قَالَ: فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: « إِنَّ اللهَ لَيُلِينُ قُلُوبَ رِجَالٍ فِيهِ، حَتَّى تَكُونَ أَلْيَنَ مِنَ اللَّبَنِ، وَإِنَّ اللهَ لَيَشُدُّ قُلُوبَ رِجَالٍ فِيهِ، حَتَّى تَكُونَ أَشَدَّ مِنَ الْحِجَارَةِ، وَإِنَّ مَثَلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ كَمَثَلِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام، قَالَ: ﴿ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [إبراهيم: ٣٦]، وَمَثَلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ كَمَثَلِ عِيسَى قَالَ: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٨] ، وَإِنَّ مَثَلَكَ يَا عُمَرُ كَمَثَلِ نُوحٍ قَالَ: ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [نوح: ٢٦] ، وَإِنَّ مِثْلَكَ يَا عُمَرُ كَمَثَلِ مُوسَى، قَالَ: رَبِّ ﴿ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ [يونس: ٨٨] ، أَنْتُمْ عَالَةٌ، فَلاَ يَنْفَلِتَنَّ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا بِفِدَاءٍ، أَوْ ضَرْبَةِ عُنُقٍ» قَالَ عَبْدُ اللهِ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِلَّا سُهَيْلُ ابْنُ بَيْضَاءَ، فَإِنِّي قَدْ سَمِعْتُهُ يَذْكُرُ الْإِسْلاَمَ، قَالَ: فَسَكَتَ، قَالَ: فَمَا رَأَيْتُنِي فِي يَوْمٍ، أَخْوَفَ أَنْ تَقَعَ عَلَيَّ حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ حَتَّى قَالَ: «إِلَّا سُهَيْلُ ابْنُ بَيْضَاءَ» قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

[الأنفال: ٦٧] ، إِلَى قَوْلِهِ ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٦٨][(١)]

حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ يَعْنِي ابْنَ عَمْرٍو: حَدَّثَنَا زَائِدَةُ: فَذَكَرَ نَحْوَهُ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: «إِلَّا سُهَيْلُ ابْنُ بَيْضَاءَ»، وَقَالَ فِي قَوْلِ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللهِ، عِتْرَتُكَ وَأَصْلُكَ وَقَوْمُكَ، تَجَاوَزْ عَنْهُمْ، يَسْتَنْقِذْهُمُ اللهُ بِكَ مِنَ النَّارِ، قَالَ: وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنْتَ بِوَادٍ كَثِيرِ الْحَطَبِ، فَأَضْرِمْهُ نَارًا، ثُمَّ أَلْقِهِمْ فِيهِ، فَقَالَ الْعَبَّاسُ: قَطَعَ اللهُ رَحِمَكَ[(٢)].

حَدَّثَنَاهُ حُسَيْنٌ يَعْنِي ابْنَ مُحَمَّدٍ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ يَعْنِي ابْنَ حَازِمٍ عَنْ الْأَعْمَشِ، فَذَكَرَ نَحْوَهُ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: فَقَامَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَحْشٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَعْدَاءُ اللهِ، كَذَّبُوكَ، وَآذَوْكَ، وَأَخْرَجُوكَ، وَقَاتَلُوكَ، وَأَنْتَ بِوَادٍ كَثِيرِ الْحَطَبِ، فَاجْمَعْ لَهُمْ حَطَبًا كَثِيرًا، ثُمَّ أَضْرِمْهُ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ: سَهْلُ ابْنُ بَيْضَاءَ[(٣)].

(١) مسند أحمد (٣٦٣٢)

(٢) مسند أحمد (٣٦٣٣).

(٣) مسند أحمد(٣٦٣٤).

بَابُ بَدْءِ الوَحْيِ

قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْحَافِظُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْبُخَارِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- آمِينَ: كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ وَقَوْلُ الله جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ [النساء: ١٦٣](١).

حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ عَنِ الصَّقْعَبِ بْنِ زُهَيْرٍ، عَنْ زَيْدِ ابْنِ أَسْلَمَ، قَالَ حَمَّادٌ: أَظُنُّهُ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، عَلَيْهِ جُبَّةٌ سِيجَانٍ مَزْرُورَةٌ بِالدِّيبَاجِ، فَقَالَ: أَلَا إِنَّ صَاحِبَكُمْ هَذَا قَدْ وَضَعَ كُلَّ فَارِسٍ ابْنِ فَارِسٍ قَالَ: يُرِيدُ أَنْ يَضَعَ كُلَّ فَارِسٍ ابْنِ فَارِسٍ، وَيَرْفَعَ كُلَّ رَاعٍ ابْنِ رَاعٍ قَالَ: فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَجَامِعِ جُبَّتِهِ، وَقَالَ: «أَلَا أَرَى عَلَيْكَ لِبَاسَ مَنْ لَا يَعْقِلُ» ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ نَبِيَّ اللهِ نُوحًا ﷺ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِابْنِهِ: إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ: آمُرُكَ بِاثْنَتَيْنِ، وَأَنْهَاكَ عَنِ اثْنَتَيْنِ، آمُرُكَ بِلاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَإِنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ، لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ، وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا

(١) صحيح البخاري في كتاب بدء الوحي تعليقا.

اللهُ فِي كِفَّةٍ، رَجَحَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ، كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً، قَصَمَتْهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، فَإِنَّهَا صَلاَةُ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِهَا يُرْزَقُ الْخَلْقُ، وَأَنْهَاكَ عَنِ الشِّرْكِ وَالْكِبْرِ». قَالَ: قُلْتُ أَوْ قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ: هَذَا الشِّرْكُ قَدْ عَرَفْنَاهُ، فَمَا الْكِبْرُ؟ قَالَ: الْكِبْرُ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا نَعْلاَنِ حَسَنَتَانِ لَهُمَا شِرَاكَانِ حَسَنَانِ قَالَ: «لَا» قَالَ: هُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا حُلَّةٌ يَلْبَسُهَا؟ قَالَ: «لَا» قَالَ: الْكِبْرُ هُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا دَابَّةٌ يَرْكَبُهَا؟ قَالَ: «لَا» قَالَ: أَفَهُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا أَصْحَابٌ يَجْلِسُونَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: «لَا» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَمَا الْكِبْرُ؟ قَالَ: «سَفَهُ الْحَقِّ، وَغَمْصُ النَّاسِ»(١).

حَدَّثَنَا رَوْحٌ، مِنْ كِتَابِهِ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: حَدَّثَ الْحَسَنُ عَنْ سَمُرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «سَامُ أَبُو الْعَرَبِ، وَيَافِثُ أَبُو الرُّومِ، وَحَامُ أَبُو الْحَبَشِ»، وَقَالَ رَوْحٌ بِبَغْدَادَ مِنْ حِفْظِهِ: «وَلَدُ نُوحٍ ثَلاَثَةٌ سَامُ وَحَامُ وَيَافِثُ»(٢).

حَدَّثَنَا يُوسُفُ بْنُ رَاشِدٍ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ وَأَبُو أُسَامَةَ - وَاللَّفْظُ لِجَرِيرٍ- عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ- وَقَالَ أَبُو أُسَامَةَ: حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ

(١) مسند أحمد (٦٥٨٣).

(٢) مسند أحمد (٢٠١١٤).

الخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَالُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيَقُولُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَيشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[البقرة: ١٤٣] فَذَلِكَ قَوْلُهُ عزوجَلَّ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[البقرة: ١٤٣]. وَالوَسَطُ: العَدْلُ(١).

حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ نَصْرٍ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ: حَدَّثَنَا أَبُو حَيَّانَ عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي دَعْوَةٍ، «فَرُفِعَت إِلَيْهِ الذِّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً»، وَقَالَ: «أَنَا سَيِّدُ الناس يَوْمَ القِيَامَةِ، هَلْ تَدْرُونَ بِمن يَجْمَعُ اللَّهُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُبْصِرُهُمُ النَّاظِرُ وَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَتَدْنُو مِنْهُمُ الشَّمْسُ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ: أَلاَ تَرَوْنَ إِلَى مَا أَنْتُمْ فِيهِ، إِلَى مَا بَلَغَكُمْ؟ أَلاَ تَنْظُرُونَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ: أَبُوكُمْ آدَمُ فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو البَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ المَلاَئِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، وَأَسْكَنَكَ الجَنَّةَ، أَلاَ تَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ وَمَا بَلَغَنَا؟

(١) صحيح البخاري (٤٤٨٧).

فَيَقُولُ: رَبِّي غَضِبَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلاَ يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَنَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ، وَسَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا، أَمَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا بَلَغَنَا، أَلاَ تَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلاَ يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، نَفْسِي نَفْسِي، ائْتُوا النَّبِيَّ ﷺ، فَيَأْتُونِي فَأَسْجُدُ تَحْتَ العَرْشِ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ». قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ: لاَ أَحْفَظُ سَائِرَهُ[1].

أَخْبَرَنَا إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ قَالَ: حَدَّثَنَا سَعْدُ بْنُ أَوْسٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ سِيرِينَ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ: «إِنَّ نُوحًا ﷺ نَازَعَهُ الشَّيْطَانُ فِي عُودِ الْكَرْمِ، فَقَالَ: هَذَا لِي، وَقَالَ: هَذَا لِي، فَاصْطَلَحَا عَلَى أَنَّ لِنُوحٍ ثُلُثَهَا، وَلِلشَّيْطَانِ ثُلُثَيْهَا»[2].

وَقَالَ سَالِمٌ: قَالَ ابْنُ عُمَرَ: ثُمَّ قَامَ النَّبِيُّ ﷺ فِي النَّاسِ، فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَّالَ فَقَالَ: «إِنِّي أُنْذِرُكُمُوهُ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قَدْ أَنْذَرَهُ

(١) صحيح البخاري (٣٣٤٠).

(٢) سنن النسائي (٥٧٢٩).

قَوْمَهُ، لَقَدْ أَنْذَرَهُ نُوحٌ قَوْمَهُ، وَلَكِنْ سَأَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ، تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَعْوَرُ، وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»(١).

قَالَ ابْنُ جُبَيْرٍ: ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢١]: «يُرِيدُ فِيهَا الرِّضَا»، ﴿ٱلْقَاضِيَةَ﴾ [الحاقة: ٢٧]: «المَوْتَةَ الأُولَى الَّتِي مُتُّهَا لَمْ أُحْيَ بَعْدَهَا»، ﴿مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧]: «أَحَدٌ يَكُونُ لِلْجَمْعِ وَلِلْوَاحِدِ» وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿ٱلْوَتِينَ﴾ [الحاقة: ٤٦]: «نِيَاطُ القَلْبِ» قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿طَغَىٰ﴾ [طه: ٢٤]: «كَثُرَ، وَيُقَالُ: ﴿بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ [الحاقة: ٥]: بِطُغْيَانِهِمْ، وَيُقَالُ: طَغَتْ عَلَى الخَزَّانِ كَمَا طَغَى المَاءُ عَلَى قَوْمِ نُوحٍ»(٢).

حَدَّثَنَا عَبْدَانُ قال: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ عَنْ يُونُسَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ سَالِمٌ: وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّاسِ فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَّالَ فَقَالَ: «إِنِّي لَأُنْذِرُكُمُوهُ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ،ولَقَدْ أَنْذَرَه نُوحٌ قَوْمَهُ، وَلَكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ: تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَعْوَرُ، وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»(٣).

---

(١) صحيح البخاري(٣٠٥٧).

(٢) صحيح البخاري ،كتاب التفسير باب رقم(٦١) سورة الحاقة تعليقا.

(٣) صحيح البخاري (٣٣٣٧).

حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الوَاحِدِ بْنُ زِيَادٍ: حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَجِيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى، هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ ،أَيْ رَبِّ، فَيَقُولُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: لاَ مَا جَاءَنَا مِنْ نَبِيٍّ، فَيَقُولُ لِنُوحٍ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ ﷺ وَأُمَّتُهُ، فَنَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ، وَهُوَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾[البقرة: ١٤٣].وَالوَسَطُ: العَدْلُ(١).

حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ: حَدَّثَنَا شَيْبَانُ عَنْ يَحْيَى، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلاَ أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا عَنِ الدَّجَّالِ، مَا حَدَّثَ بِهِ نَبِيٌّ قَوْمَهُ؟ إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّهُ يَجِيءُ مَعَهُ بِمِثَالِ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَالَّتِي يَقُولُ: إِنَّهَا الجَنَّةُ ،هِيَ النَّارُ، وَإِنِّي أُنْذِرُكُمْ كَمَا أَنْذَرَ بِهِ نُوحٌ قَوْمَهُ»(٢).

بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ ﴾ (هود: ٢٥) ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ

(١)صحيح البخاري (٣٣٣٩).

(٢)صحيح البخاري (٣٣٣٨).

ٱللَّهِ ﴾[يونس: ٧١] إِلَى قَوْلِهِ ﴿مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٧٢] ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ ﴾ [نوح: ١] إِلَى آخِرِ السُّورَةِ(١).

حَدَّثَنَا حَسَنٌ: حَدَّثَنَا ابْنُ لَهِيعَةَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَا أَوَّلُ مَنْ يُؤْذَنُ لَهُ بِالسُّجُودِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يُؤْذَنُ لَهُ أَنْ يَرْفَعَ رَأْسَهُ، فَأَنْظُرَ إِلَى بَيْنِ يَدَيَّ، فَأَعْرِفَ أُمَّتِي مِنْ بَيْنِ الْأُمَمِ، وَمِنْ خَلْفِي مِثْلُ ذَلِكَ، وَعَنْ يَمِينِي مِثْلُ ذَلِكَ، وَعَنْ شِمَالِي مِثْلُ ذَلِكَ». فَقَالَ: رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ تَعْرِفُ أُمَّتَكَ مِنْ بَيْنِ الْأُمَمِ فِيمَا بَيْنَ نُوحٍ إِلَى أُمَّتِكَ؟ قَالَ: «هُمْ غُرٌّ مُحَجَّلُونَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ، لَيْسَ أَحَدٌ كَذَلِكَ غَيْرَهُمْ، وَأَعْرِفُهُمْ أَنَّهُمْ يُؤْتَوْنَ كُتُبَهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ، وَأَعْرِفُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ذُرِّيَّتُهُمْ»(٢).

حَدَّثَنَاهُ يَحْيَى بْنُ إِسْحَاقَ، شَكَّ فِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا ذَرٍّ أَوْ أَبَا الدَّرْدَاءِ، قَالَ يَحْيَى، فَيَقُولُ: «فَأَعْرِفُهُمْ أَنَّ نُورَهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، وَبِأَيْمَانِهِمْ»(٣).

(١) صحيح البخاري كتاب الأنبياء باب (٣).
(٢) مسند أحمد (٢١٧٣٧).
(٣)مسند أحمد (٢١٧٣٨).

حَدَّثَنَا يَعْمَرُ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ لَهِيعَةَ: حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ: أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا ذَرٍّ وَأَبَا الدَّرْدَاءِ، قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَا أَوَّلُ مَنْ يُؤْذَنُ لَهُ فِي السُّجُودِ». فَذَكَرَ مَعْنَاهُ[1].

حَدَّثَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، حَدَّثَنَا ثَابِتٌ، عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يُطَوَّلُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ عَلَى النَّاسِ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انْطَلِقُوا بِنَا إِلَى آدَمَ أَبِي الْبَشَرِ، فَيَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّنَا، فَلْيَقْضِ بَيْنَنَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ، أَنْتَ الَّذِي خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ وَأَسْكَنَكَ جَنَّتَهُ، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ فَلْيَقْضِ بَيْنَنَا، فَيَقُولُ: إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَلَكِنْ ائْتُوا نُوحًا رَأْسَ النَّبِيِّينَ فَيَأْتُونَهُ، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ فَلْيَقْضِ بَيْنَنَا، فَيَقُولُ: إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَلَكِنْ ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ اللهِ فَيَأْتُونَهُ، فَيَقُولُونَ: يَا إِبْرَاهِيمُ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ فَلْيَقْضِ بَيْنَنَا، فَيَقُولُ: إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَلَكِنْ ائْتُوا مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاهُ اللهُ بِرِسَالَاتِهِ وَبِكَلَامِهِ، قَالَ: فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ فَلْيَقْضِ بَيْنَنَا، فَيَقُولُ: إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَلَكِنْ ائْتُوا عِيسَى رُوحَ اللهِ وَكَلِمَتَهُ، فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ فَلْيَقْضِ بَيْنَنَا، فَيَقُولُ: إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَلَكِنْ ائْتُوا مُحَمَّدًا فَإِنَّهُ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، فَإِنَّهُ قَدْ حَضَرَ

(١)مسند أحمد (٢١٧٣٩).

الْيَوْمَ وَقَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، فَيَقُولُ عِيسَى: أَرَأَيْتُمْ لَوْ كَانَ مَتَاعٌ فِي وِعَاءٍ قَدْ خُتِمَ عَلَيْهِ، هَلْ كَانَ يُقْدَرُ عَلَى مَا فِي الْوِعَاءِ حَتَّى يُفَضَّ الْخَاتَمُ؟ فَيَقُولُونَ: لَا، قَالَ: فَإِنَّ مُحَمَّدًا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ»، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَيَأْتُونِي فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ فَلِيَقْضِ بَيْنَنَا». قَالَ: «فَأَقُولُ: نَعَمْ، فَآتِي بَابَ الْجَنَّةِ، فَآخُذُ بِحَلْقَةِ الْبَابِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيُقَالُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ فَيُفْتَحُ لِي فَأَخِرُّ سَاجِدًا، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدَ لَمْ يَحْمَدْهُ بِهَا أَحَدٌ كَانَ قَبْلِي، وَلَا يَحْمَدُهُ بِهَا أَحَدٌ كَانَ بَعْدِي، فَيَقُولُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ مِنْكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ: أَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ»، قَالَ: «فَأُخْرِجُهُمْ ثُمَّ أَخِرُّ سَاجِدًا، فَأَحْمَدُهُ بِمَحَامِدَ لَمْ يَحْمَدْهُ بِهَا أَحَدٌ كَانَ قَبْلِي، وَلَا يَحْمَدُهُ بِهَا أَحَدٌ كَانَ بَعْدِي، فَيُقَالُ لِي: ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: «أَيْ رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ: أَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ بُرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ»، قَالَ: «فَأُخْرِجُهُمْ»، قَالَ: «ثُمَّ أَخِرُّ سَاجِدًا، فَأَقُولُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَيُقَالُ: أَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ، قَالَ: فَأُخْرِجُهُمْ[1].

(١) مسند أحمد (١٣٥٩٠).

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ وَهْبٍ قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ: أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنَّا نَتَحَدَّثُ بِحَجَّةِ الوَدَاعِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، وَلاَ نَدْرِي مَا حَجَّةُ الوَدَاعِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ ذَكَرَ المَسِيحَ الدَّجَّالَ فَأَطْنَبَ فِي ذِكْرِهِ، وَقَالَ: «مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَنْذَرَ أُمَّتَهُ، أَنْذَرَهُ نُوحٌ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ بَعْدِهِ، وَإِنَّهُ يَخْرُجُ فِيكُمْ، فَمَا خَفِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ شَأْنِهِ فَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْكُمْ: أَنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ عَلَى مَا يَخْفَى عَلَيْكُمْ ثَلاَثًا، إِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَإِنَّهُ أَعْوَرُ عَيْنِ اليُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ، أَلاَ إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، أَلاَ هَلْ بَلَّغْتُ» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ - ثَلاَثًا - وَيْلَكُمْ، أَوْ وَيْحَكُمْ، انْظُرُوا، لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»[1].

(١) صحيح البخاري(٤٤٠٣،٤٤٠٢).

بَابُ ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾ [القمر: ١٤]

قَالَ قَتَادَةُ: «أَبْقَى اللَّهُ سَفِينَةَ نُوحٍ حَتَّى أَدْرَكَهَا أَوَائِلُ هَذِهِ الأُمَّةِ»(١).

حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى: أَخْبَرَنَا هِشَامٌ عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ. وَقَالَ عَطَاءٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، «صَارَتِ الأَوْثَانُ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي العَرَبِ بَعْدُ أَمَّا وَدٌّ :كَانَتْ لِكَلْبٍ بِدَوْمَةِ الجَنْدَلِ، وَأَمَّا سُوَاعٌ :فكَانَتْ لِهُذَيْلٍ، وَأَمَّا يَغُوثُ: فَكَانَتْ لِمُرَادٍ، ثُمَّ لِبَنِي غُطَيْفٍ بِالْجُرُفِ، عِنْدَ سَبَإٍ، وَأَمَّا يَعُوقُ : فَكَانَتْ لِهَمْدَانَ، وَأَمَّا نَسْرٌ: فَكَانَتْ لِحِمْيَرَ لِآلِ ذِي الكَلاَعِ، أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ، أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ العِلْمُ عُبِدَتْ»(٢).

(١) صحيح البخاري كتاب التفسير باب (٢).

(٢) صحيح البخاري (٤٩٢٠).

ذكر حجه عليه السلام

عن ابن عباس قال: لما مرّ رسول الله ﷺ بوادي عسفان حين حج قال:: "يا أبا بكر، أي واد هذا؟"

قال: هذا وادي عسفان.

قال: "لقد مرّ هود وصالح على بكرات حمر خطمها الليف، أزرهم العباء وأرديتهم النمار يلبون يحجون البيت العتيق". (أحمد: ٢٠٦٨ وضعفه)

موقف نوح من قومه

أرسل الله تعالى نوحًا عليه السلام بعد أن أشرك قومه لينذرهم قبل أن يأتيهم عذاب الله الأليم فقال لهم: إني نذير مبين فاعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئًا ولا تطيعوا الشيطان وأطيعوا الله واتقوه ليغفر لكم من ذنوبكم ويجيركم من عذابه ويؤخركم إلى أجل مسمى قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ٣ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۖ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [نوح: ١ - ٤].

لقد دعا قومه ليلاً ونهارًا فما زادهم ذلك إلا بُعدًا عن الحق ونفرة منه وكان كلما دعاهم وضعوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارًا دعاهم سرًّا ودعاهم جهرًا ودعاهم علنًا ودعاهم خفية وطلب منهم أن يستغفروا الله ليرزقهم، ويرسل السماء عليهم مدرارًا، ويمدهم بالمال والبنين، ويجعل لهم جنات، ويجعل لهم أنهارًا، ولكنهم أبوا وعصوا وتجبروا وعلوا وتطاول الزمن عليهم، وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق، واستمر يدعوهم ألف سنة إلا خمسين عامًا وهم مصرون على كفرهم وعنادهم حتى أخذهم الطوفان وهم ظالمون ولم يؤمن به قليل وكل جيل يأتي أسوأ من الأول وكان الوالد يوصي ابنه ألا يؤمن بنوح ولا يلدون إلا فاجرًا كفارًا.

وطلبوا من نوح أن يكف عنهم جدالهم وأن يأتيهم بما وعدهم من العذاب ﴿ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾ [المائدة: ٤١]، ولله الحكمة البالغة.

تعزية نوح عليه السلام بعدم إيمان من لم يؤمن من قومه

قال تعالى: ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ [هود: ٣٦]، فلما يئس نوح من إسلامهم دعا عليهم فأجاب الله دعوته قال تعالى: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا

﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ [نوح: ٢٦ - ٢٧]، فأخذ عليه السلام في صناعة الفلك كما أمره ربه فاستهزؤا وسخروا منه وضحكوا واتهموه بالجنون ففتح الله أبواب السماء بالماء المنهمر وفجر الله الأرض بالعيون المتدفقة فحمل أهل بيته إلا من كفر وما آمن معه إلا قليل، وكان من بين من لم يؤمن ابنه كنعان الذي أغرقه الله لم ينفعه لجوؤه للجبل وركب من مع نوح باسم الله مجراها ومرساها وجرت بهم في موج كالجبال ثم استوت السفينة على الجودي وقيل: ﴿ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود: ٤٤].

وسلم نوح ومن معه من الغرق وهبط بسلام وبركات قال تعالى: ﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [هود: ٤٨].

من كذب رسولًا فقد كذب جميع الرسل

لقد كذب قوم نوح جميع المرسلين منذ نوح إلى محمد ﷺ لأن من كذب واحدًا من الأنبياء فقد كذب جميعهم قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء: ١٠٥]، فكل نبي يأمر بتصديق من قبله ومن بعده وسمى الله نوحًا أخاهم.

قيل: أخ من الأب وقيل: من الجنس وقيل: أراد أنه واحد منهم.

لقد طلب منهم أن يتقوا الله ويطيعوه فقالوا له: ﴿ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴾ [الشعراء: ١١١]، الأقلون جاهًا ومالًا ونسبًا وحرفة واتهموهم بنياتهم فقال نوح عليه السلام: ﴿ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴾ [الشعراء: ١١٣]، وقال: ﴿ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الشعراء: ١١٢]، وطلبوا منه طردهم من مجالسه وهددوا نوحًا بالرجم إن لم يترك عيب دينهم وسبهم وسب آلهتهم وطلب نوح من ربه أن يفتح بينه وبينهم فتحًا ﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ١١٧ – ١١٨].

فاستجاب الله دعاءه ونجاه ومن معه في الفلك المشحون التي ملأت بالناس والدواب والمتاع وأغرقهم عن بكرة أبيهم وفي هذا آية للمعتبرين المؤمنين قال تعالى: إن في ذلك لآية ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الشعراء: ١٢١ – ١٢٢].

لقد استجاب الله نداء نوح ودعاءه ربه قال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴾ [الصافات: ٧٥]، إنه نداء الاستغاثة بالله بعد الكرب العظيم الذي أصابه من عصيان قومه ونزل عليه ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الصافات: ٧٩]، يثني عليه الثناء الحسن إلى يوم القيامة والسلام عند جميع المسلمين من نوح إلى محمد صلى الله عليه وسلم وليس مختصًا بأمة محمد صلى الله عليه وسلم وهكذا يجزي الله المحسنين ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الصافات: ٨٠]، فنوح عليه السلام محسن وشاكر لربه

ومؤمن ومخلص وراسخ في الإحسان ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصافات: ٨٠ – ٨١].

من الفوائد في قصص نوح عليه السلام

١ – أن العلاقة التي يتجمع المسلمون عليها ليست الدم ولا النسب ولا العشيرة ولا الأرض ولا الوطن ولا القوم ولا الجنس ولا الحرفة ولا الطبقة ولا اللون ولا اللغة فهذه علاقات لا يكون الحب والبغض عليها لأنها قد تنقطع كما أنها ليست من اختيار الإنسان ولا مما أمر الله تعالى به ورسوله فالعلاقة الحقيقية والوشيجة التي يتجمع عليها الناس هي الدين فالمسلم أخو المسلم قال تعالى: ﴿ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴾ [هود: ٤٦].

إن أباك وابنك وجميع عشيرتك وقبيلتك ليست علاقات يحب لها ويبغض من أجلها إن الصلة بين المؤمنين المتقين فهي الميزان للحب والبغض والولاء والعداء قال إبراهيم عليه السلام وقومه المؤمنون لقومهم: ﴿ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة: ٤].

٢- يقول العلماء: إن آثار طوفان قوم نوح باقية إلى الآن في الأرض أصدافًا ورواسب وبقايا حيوانات ونباتات مختلفة ومختلطة بمواد بحرية وعظام حيوانات وآلات صناعية وآثار بشرية وتحجرات.

٣- وجوب الاستعانة بالله عند الركوب والنزول والحركات والتقلبات ووجوب حمد الله وذكره وشكره قال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ﴾ [هود: ٤١]، وقال: ﴿ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المؤمنون: ٢٨].

٤- ينبغي الدعاء عند نزول المنازل وعند الأسفار وغيرها قال تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴾ [المؤمنون: ٢٩]، ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ ﴾ [الإسراء: ٨٠].

٥- إذا نزل العذاب شمل الأطفال وغير المذنبين والحيوانات وإن لم يكن عليها ذنوب قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾ [الأنفال: ٢٥]، كما أن الله ينجي المؤمنين الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر قال تعالى: ﴿ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ ﴾ [الأعراف: ١٦٥].

٦- الله تعالى يجازي الناس بالإيمان والأعمال الصالحة لا بالأنساب ولا يحابي سبحانه أحدًا لأجل آبائه وأجداده ولو كانوا رسلاً أو أنبياء أو صالحين.

٧- أهل الرجل هم أبناؤه وزوجاته وأهل بيته وبناته وجميع من ضمه منزله من الأهل والخدم وغيرهم قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الصافات: ٧٥ – ٧٦].

٨- أنه أول من دعا إلى توحيد الله وحده لا شريك له فقال لقومه: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]، وهكذا جميع الرسل من بعده يدعون الناس أولًا إلى عبادة الله وحده وإخلاص التوحيد له سبحانه.

٩- أنه لم يطلب مالًا ولا أجرًا على دعوته وهكذا الرسل من بعده قال تعالى عنهم: ﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ﴾ [هود: ٢٩].

١٠- بين نوح لقومه أن الاستغفار سبب الرزق والمطر وأن التوبة سبب ذلك وسبب القوة قال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ٥٢]. فالاستغفار سبب سقيا الأرض بالمطر والخصوبة في الأرض سببها الاستغفار والغنى سببه الاستغفار والولد سببه الاستغفار.

شكى رجل إلى الحسن الجدوبة فقال له: استغفر الله. وشكى جفاف بستانه فقال: استغفر الله. وشكى إليه آخر الفقر فقال: استغفر الله. وشكى إليه آخر العقم فقال: استغفر الله.

١١- دعا نوح قومه ليلاً ونهارًا وسرًّا وجهارًا ورغبهم في الثواب العاجل في الدنيا والآجل في الآخرة وصبر صبرًا عظيمًا ألف سنة إلا خمسين عامًا وخاطبهم بكل الأساليب الرفيقة والشديدة وبرهن لهم بالآيات والأدلة الناصعة ولكن الشيطان والملأ من قوم نوح قالوا لهم: لا تذرن ودًّا ولا سواعًا ولا يغوث ويعوق ونسرًا وأضلوا العامة واستكبروا.

عشر سور من القرآن ذكرت فيها قصة نوح عليه السلام

ذكرت قصص نوح في عدة سور من القرآن: الأعراف ويونس وهود والأنبياء والمؤمنون والشعراء والعنكبوت والصافات واقتربت الساعة وأنزلت فيه سورة كاملة سورة نوح.

وقد أعطى الله نوحًا عليه السلام القدرة على المحاورة والمجادلة بالحق ودعا قومه بأنواع الدعوة في الليل والنهار والسر والعلن والترغيب والترهيب ولكنه لم ينجح فيهم واستمر أكثرهم على الضلال والطغيان وعبادة الأصنام والأوثان وعدوه وتنقصوه وسخروا ممن آمن معه وتوعدوهم بالرجم والإخراج من ديارهم وقالوا له: إنك في ضلال مبين وقال لهم: ﴿ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦١ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٦١ – ٦٢]، وكان بليغًا فصيحًا ناصحًا قويًّا وبما أن أتباع المرسلين بادئ ذي بدء هم الضعفاء فالذين آمنوا

برسالة نوح هم الضعفاء ولهذا قال قوم نوح: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾ [هود: ٢٧]، وقد تطاول الزمان مع قومه ومجادلته لهم قال تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت: ١٤].

وكل جيل يعقبه جيل أشد عصيانًا من سابقه ﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٧].

روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: **قَامَ النَّبِيُّ ﷺ فِي النَّاسِ، فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَّالَ فَقَالَ: «إِنِّي أُنْذِرُكُمُوهُ وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قَدْ أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ، لَقَدْ أَنْذَرَهُ نُوحٌ قَوْمَهُ، وَلَكِنْ سَأَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ، تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَعْوَرُ، وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»**. (البخاري: ٣٠٥٧)

الآداب المستنبطة من قصة نوح عليه السلام

الأولى: الصبر على الدعوة إلى الله والثبات على الحق ألف سنة إلا خمسين عامًا وهو يجاهدهم الجهاد الكبير جهاد الدعوة.

الثانية: أن الناس إذا خلوا من الدعاة إلى الله دخل فيهم الشيطان فإن قوم نوح طال عليهم الأمد والعهد قرونًا عديدة لم يأتهم رسول قبله فوقعوا بالشرك.

الثالثة: أن البدع والمعاصي تزداد إذا تركت ويعتقدها الناس ويستمرؤون عليها فقوم نوح صوروا الأولياء ليذكروهم بعبادة الله ثم لما تقدم العهد وطال عبدوهم.

الرابعة: أن الجهل سبب خطير من أسباب الشرك والكفر والمعاصي والبدع، والعلم نور للقلب والدين.

الخامسة: أن الداعية يجب عليه الحرص على المستجيبين له ومحبتهم والدفاع عنهم فنوح عليه السلام لم يستجب لقومه في إبعاد المستجيبين له من المؤمنين وكذا رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٢٨]، ونوح يقول لقومه: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا﴾ [هود: ٣١].

السادسة: أهمية الصناعة بأنواعها كالفلك التي هي منة من الله ومنفعة للعباد وكل صناعة لها نفع للعباد ومأمور بها ومستحبة كالطائرات والسفن والسيارات والصواريخ وغيرها.

السابعة: أن الأسباب من الله تعالى وهي لا تدفع بذاتها وإنما النفع من الله تعالى.

الثامنة: أن التسمية مطلوبة عند ركوب الفلك قال نوح: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ [هود: ٤١].

التاسعة: أن الأخوة والمحبة والنصرة للمؤمنين وليست للكافرين فولد نوح ليس من أهله قال تعالى: ﴿قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٖ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦].

العاشرة: الحرص على بقاء النسل لهذا حمل نوح من كل زوجين اثنين حتى يبقى النسل لأنها مسخرة في مصالح العباد وذلك في وفق أمر الله تعالى.

الحادية عشرة: أن قوة الله غالبة ولا حول ولا قوة إلا به ولا عاصم من أمره إلا رحمته فلا تعصم الجبال ولا الحصون ولا غيرها إلا برحمته سبحانه قال تعالى: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ [هود: ٤٣].

الثانية عشرة: يجب أن يكون العلم هو الحامل للإنسان على القول والعمل والدعاء وكل شيء لهذا عاتب الله نوحًا لأنه دعا لابنه وهو لا يستحق الدعاء فقال نوح: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَـٰكِمِينَ﴾ [هود: ٤٥]، فقال الله له: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦]. فلا يسأل الله إلا بعلم وقد تاب نوح ورجع إلى ربه فقال: ﴿رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧].

الثالثة عشرة: الحرص على التوحيد في الدعوة إلى الله فإنه أول ما دعا به نوح وكل الأنبياء ﴿ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾ [الأعراف: ٥٩].

الرابعة عشرة: أن الداعي لا يطلب أجرًا على دعوته قال نوح لقومه: ﴿ يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓ ﴾ [هود: ٥١].

الخامسة عشرة:لا يجدر بنا احتقار أحد من المؤمنين فالفضل بيد الله يؤتيه من يشاء قال نوح: ﴿ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ ﴾[هود: ٣١].

السادسة عشرة: حمد الله على النعم وشكره قال الله تعالى لنوح: ﴿ فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المؤمنون: ٢٨].

السابعة عشرة: من الآداب: كثرة الذكر والدعاء وسؤال الله البركة وغيرها من الخيرات لهذا يكثر الأنبياء من الدعاء فهذا نوح عليه السلام يتضرع إلى الله قائلاً: ﴿ رَّبِّ أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ﴾ [المؤمنون: ٢٩].

الثامنة عشرة: أن تقوى الله سبب كل خير في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وقال: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ ﴾ [الطلاق: ٢ – ٣].

نوح عليه السلام حاور قومه بكل الوسائل وجادلهم بكل الأساليب البليغة

أولًا: قال لهم: ﴿ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴾ [هود: ٢٨]. أخبروني إن كنت صاحب حجة ظاهرة وشاهد يشهد بصدقه لي وآتاني ربي النبوة والبينة الواضحة وأخفيت عنكم وآتاني ربي رحمة من عنده وأخفيت عنكم وأنكرتموها أنلزمكموها ونجبركم على قبولها ﴿وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴾ لا تختارونها ولا تتأملون فيها وهذه حجة ظاهرة لنوح على قومه.

ثانيًا: قال لهم نوح: ﴿ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ﴾ [هود: ٣٤].

إن نصيحتي لكم لا تنفعكم إذا كان الله تعالى يريد إغواءكم، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، والله تعالى يصرف عن آياته المتكبرين قال تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

ثالثًا: بين لهم أنه لم يسألهم مالًا ولا أجرًا وإنما أجره على الله فهو سبحانه الذي يثيبني على ذلك في الآخرة والله لا يخلف الميعاد.

رابعًا: امتنع عن طرد المؤمنين فقال: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ [هود: ٢٩]، فسفه أحلامهم ورفع قيمة المؤمنين على السادة والملأ الكفار.

خامسًا: بين أنه من ينصره الله إن طردهم كما طلبوا وأن هذا الظلم لا يمكن أن يحصل منه لأنه وهم ملاقون ربهم فيجازيهم على أعمالهم ونياتهم.

سادسًا:بين لهم أنه لا يعلم الغيب وليس بملك وإنما يقول لهم: إني رسول مبين فإن قلت ذلك فإني من الظالمين ﴿إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ٣١].

وهذه قدرة عظيمة من نوح على المجادلة ولهذا قال له قومه: ﴿يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [هود: ٣٢].

لقد خاصمهم وبالغ في ذلك وأكثر، فمل قومه من الجدال وعجزوا عن مجابهته قائلين: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فبين لهم أن الذي يأتيكم به الله إن شاء فأنتم لا تعجزونه والهداية بيد الله ولهذا لن أستطيع هدايتكم ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ [هود: ٣٤]. فالله هو الهادي وهو المضل.

بعث نوح عليه السلام إلى أرض الجزيرة العربية

أول رسول بعث إلى أرض الجزيرة نوح عليه السلام.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«أَوَّلُ نَبِيٍّ أُرْسِلَ نُوحٌ»**(١).

وعن قتادة: «أن نوحًا بعث من الجزيرة وهودًا من أرض الشحرأرض مهره وصالحًا من الحجر ولوطًا من سدوم وشعيبًا من مدين ومات إبراهيم وآدم وإسحاق ويوسف بأرض فلسطين وقتل يحيى بن زكريا بدمشق»(٢).

وكان إرساله لما حدث فيها من الشرك بعبدة الأصنام وذلك في غرب الجزيرة بجدة منحوتة من أسماء رجال صالحين ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر.

لقد بين لهم أنه لا يستحق العبادة إلا الله وحده ﴿ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ [الأعراف: ٥٩]، فكفر به الملأ وهم الأشراف والكبراء والقادة المرموقون بحسنهم وجمالهم وفصاحتهم ومآلهم وجاههم ونسبهم وناستهم وقالوا: ﴿ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأعراف: ٦٠]، فنفى عن نفسه الضلالة وقال: ﴿ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٨٦٢٢).

(٢) رواه ابن أبي حاتم وابن عساكر في الدر المنثور (٣/ ٤٨١).

رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٦١ – ٦٢]، وبين لهم أن العجب من كفرهم وليس العجب مما جئت به من الحق والذكر فقال: ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٦٣].

قيل: إن قوم نوح من العرب وأن الذين قبلهم عرب إلى زمن وعصر إبراهيم عليه السلام وأن لغة الجنة اللغة العربية وهي لغة آدم عليه السلام ولما يئس عليه السلام من استجابتهم لدعوته وخاف على نفسه منهم دعا عليهم فأجاب الله دعاءه فنزل عليهم مطر عظيم من السماء كأفواه القرب وتفجرت الأرض بالعيون حتى ارتفع الماء فوق رؤوس الجبال فغرقوا عن آخرهم إلا المؤمنين الذين أنقذهم الله وركبوا مع نوح السفينة.

قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٦٤] عن الحق والخير والهدى فلا يستحقون الحياة والسكنى في أرضه والأكل من نعمه وهم يعصونه ويحادون ويعارضون رسوله ويؤذونه ويطيعون شياطينهم ويعبدون أصنامهم.

قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ [النساء: ١٦٣].

عن أبي ذر قال: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَمِ الْأَنْبِيَاءُ؟ قَالَ: مِائَةُ أَلْفٍ وَعِشْرُونَ أَلْفًا. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَمِ الرُّسُلُ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَ: ثَلاَثُمِائَةٍ وَثَلاَثَةَ عَشَرَ جَمًّا غَفِيرًا»(١).

وعن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «وَبَيْنَ آدَمَ وَنُوحٍ أَلْفُ سَنَةٍ، وَبَيْنَ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ أَلْفُ سَنَةٍ، وَبَيْنَ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى سَبْعُمِائَةِ سَنَةٍ، وَبَيْنَ مُوسَى وَعِيسَى خَمْسُمِائَةِ سَنَةٍ، وَبَيْنَ عِيسَى وَمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم سِتُّمِائَةِ سَنَةٍ»(٢).

فنوح أبو البشر الثاني وأول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض بعد وقوع الشرك في بني آدم بعبادة الأصنام ثم أهلكهم الله بالغرق العام بسبب شركهم وضلالهم بدعوته عليهم وهو أطول الرسل عمرًا حيث عمر ألف سنة مع كمال قوته في بدنه وعقله وحواسه ولم يصب بهرم ولا عمي ولا صمم ولا غير ذلك.

نوح أول الرسل إلى الأرض

قال بعضهم: إن إدريس عليه السلام كان قبل نوح وهذا وهم والدليل على صحة ذلك الحديث الصحيح في الإسراء حين لقي النبي صلى الله عليه وسلم آدم وإدريس

(١) رواه ابن حبان (٣٦١) في صحيحه.

(٢) رواه الحاكم ي مستدركه (٤١٧٢) ٢/ ٦٥٤.

فقال له آدم: **«مرحبًا بالنبي الصالح»** وقال له إدريس: **«مرحبًا بالنبي الصالح والأخ الصالح»**.

فلو كان إدريس أبًا لنوح لقال: «مرحبًا بالنبي الصالح والابن الصالح» فلما قال له: «والأخ الصالح» دل على أنه يجتمع معه في نوح-صلى الله عليهم أجمعين- والخلق كلهم من بعد نوح من ولد نوح عليه السلام.

قيل: إن آدم عليه السلام نبي وليس رسولًا وأن بعثة نوح عليه السلام لإصلاح الناس وحملهم بالعذاب والإهلاك على الإيمان فهو أول نبي أرسل على هذه الصفة.

قال القاضي عياض: «وقد رأيت أبا الحسن بن بطال ذهب إلى أن آدم ليس برسول».

والله أعلم.

توكل نوح عليه السلام

قال الله تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [يونس: ٧١].

هذا تحدٍّ من نوح عليه السلام ضدهم وضد كيدهم وتوكل منه على الله القوي العزيز بأنه لن يسلمه لهم وأنه سينصره لأنه متوكل عليه.

إن عظم وثقل عليكم لبثي فيكم وطول إقامتي عندكم وتذكيري إياكم وتخويفي لكم وترغبون في قتلي أو طردي فلن تستطيعوا ذلك لأنني متوكل على الله تعالى الذي سينصرني عليكم ووعدني بذلك، فالله كافيني أمركم وناصرني إن لم تنصروني ثم تحداهم بأن يجمعوا أمرهم ويستعينوا بشركاءهم وأعدوا ما تستطيعون من قوة واعزموا على قتلي أو طردي وافصحوا عن كيدكم لي ولا يكن أمركم عليكم غمة بل أظهروه واكشفوه ولا تخفوه فتغتموا بكتمانه ولا يكن أمركم ملتبسًا ولا مبهمًا ولا مظلمًا ولا تتأخروا في ذلك ولا تنظرون فأنا واثق بنصر الله غير خائف من كيدكم فأنتم وآلهتكم التي تدعون من دون الله لا تنفعون ولا تضرون.

حجة قوم نوح باطلة داحضة

احتجوا بعدم اتباع نوح عليه السلام بأن الذين اتبعوه هم أراذل القوم بادئ الرأي.

قيل: هم الخسيسون والسقطاء والسفلة والضعفاء والفقراء. وقيل: هم الحاكة وأهل الصناعات والحجامون والدباغون والكناسون. وقيل: الذين لا حسب لهم.

وهذا عيب باطل وجهل مركب فقد عابوهم بما هو فخر لهم فالصناعات والمهن والحرف شرف للإنسان وكثير من الأنبياء كانوا أصحاب مهن وغالب أتباع الأنبياء من هؤلاء كما قال هرقل لأبي سفيان: أأشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فقال: بل ضعفاؤهم. فقال: هم أتباع الرسل.

قال العلماء: إنما كان ذلك لاستيلاء الرياسة على الأشراف وصعوبة الانفكاك عنها والأنفة من الانقياد للغير.

لما احتجوا بعدم قبول دعوته وهو بشر مثلهم وأنه ومن اتبعوه ليس لهم فضل ﴿ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴾ [هود: ٢٧].

أما حجج نوح عليه السلام فهي قوية:

١ - أنه على بينة من أمره.

٢ - أن الله آتاه رحمة من عنده.

٣ - أنه لم يسألهم مالًا ولا أجرًا.

٤ - أنهم جهلة والمؤمنون معه يعلمون وسيلاقون ربهم.

٥ - أنه ليس عنده خزائن الله.

٦ – أنه لا يعلم الغيب.

٧ – أنه غير ملك.

٨ – أنه لن يظلم الذين آمنوا معه فيطردهم.

قال تعالى: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود: ٢٨ – ٣١].

التنـــور

قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾ [هود: ٤٠].

اختلف في التنور ما هو؟

١ – قيل: إنه وجه الأرض.

٢ – إنه تنور الخبز الذي يخبز فيه.

٣ – إنه موضع اجتماع الماء في السفينة.

٤ - إنه طلوع الفجر ونور الصبح.

٥ - إنه مسجد الكوفة وقالوا: اتخذ نوح السفينة في جوف مسجد الكوفة.

٦ - إنه أعالي الأرض.

٧ - إنه العين بالجزيرة (عين الوردة) وهي: بالشام.

قال ذلك القرطبي وقال: إن هذه الأقوال تجتمع في أن ذلك كان علامة.

الأحاديث الواردة عن نوح عليه السلام وقومه

تدل الأحاديث الواردة عن نوح عليه السلام وقومه على أمور منها:

١ - أن قومه عبدوا ودًّا وسواعًا ويغوث ويغوق ونسرًا وأن هؤلاء كانوا عبادًا صالحين فلما ماتوا نصبوا صورهم ثم بعد هلاك الجيل السابق جاء جيل فعبدوهم فأرسل الله نوحًا عليه السلام.

٢ - أن نوحًا عليه السلام متوكل على الله ولا يخاف من كيد الكفار وقال لهم: ﴿فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [يونس: ٧١].فقد توكل على ربه وتحداهم بأن يقضوا عليه ولا ينظروه فما قدروا ونصره الله تعالى.

٣ - أن نوحًا أنذر قومه من الدجال وكل نبي ينذر قومه منه.

٤ - أن من الأدعية التي تطرد الحية من المسكن الاستعاذة منها بعهد نوح وبعهد سليمان بن داود ألا تؤذى فإن عادت تقتل.

٥ - أن أمة محمد تشهد يوم القيامة بأن نوحًا أنذر قومه عندما ينكر قومه ذلك ويقولون ما آتانا من نذير.

٦ - أن نوحًا أطول الناس عمرًا.

٧ - أنه يصوم الدهر عدا يومي الفطر والأضحى.

٨ - أن السفينة استوت على الجودي في يوم عاشوراء وأن نوحًا صامه.

٩ - أن الله تعالى عاب على نوح في دعائه على قومه حيث قال: ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [نوح: ٢٦]، وهذا اجتهاد منه ﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ [نوح: ٢٧].

١٠ - أن الله أوحى لمحمد كما أوحى إلى نوح والنبيين من بعده فهو أول الرسل عليه السلام.

١١ - أن أولاده الذين يتفرع منهم كل من على الأرض ثلاثة: سام وحام ويافث.

١٢ - أن نوحًا يعتذر من الشفاعة الكبرى ويأتون لمحمد ﷺ فيشفع لهم بعد أن يؤذن له بالسجود يوم القيامة، وإليكم الأحاديث الدالة على ذلك.

١٣ - أن الله أبقى سفينة نوح حتى أدركها أوائل أمة محمد ﷺ.

١٤ - وصية نوح لأولاده.

الابن الكافر غير الصالح ليس من أهل الوالد

قال الله تعالى عن ولد نوح عليه السلام: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ [هود: ٤٦].

فما دام عمله سيئًا فهو ليس من أهل نوح ويسمى الولد عملاً كما يسمى كسبًا كما في الخبر: أولادكم من كسبكم. ذكر ذلك القشيري وغيره.

وفي هذه الآية تسلية لمن فسد ولده كما أن الابن الصالح من الأهل لغةوشرعًا ومن أهل البيت فمن وصى لأهله دخل في ذلك ابنه.

قال الحسن ومجاهد وغيرهما: الولد للفراش. استدلالًا بقول رسول الله ﷺ: الولد للفراش وللعاهر الحجر (البخاري:٢٠٥٣).

ومن أمور الجاهلية: أن ينسب الكافر إلى أهل المسلم وأن يوالي الأب ابنه الكافر ويزعم أنه من أهله فقد نهى الله نوحًا عن ذلك وقال له: ﴿إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦]، أي: أنهاك وأحذرك لئلا تكون من الجاهلين الآثمين وقد تاب نوح عليه السلام فقال: ﴿رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧].

وهكذا يكون المؤمن ولاؤه ومحبته للمؤمنين وبغضه وعداؤه للكافرين قال تعالى عن إبراهيم والذين معه: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة: ٤].

نوح عليه السلام عبد شكور لله تعالى

قال تعالى: ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ [الإسراء: ٣].

أي: يشكر الله على نعمه ولا يرى خيرًا إلا من الله.

قال قتادة: كان إذا لبس ثوبًا قال: بسم الله وإذا نزعه قال: الحمد لله.

وروى معمر عن منصور عن إبراهيم قال: شكره إذا أكل قال: بسم الله وإذا فرغ من الأكل قال: الحمد لله.

وقال سلمان الفارسي: كان يحمد الله على طعامه.

وقال عمران بن سليم: أنه كان إذا أكل قال: الحمد لله الذي أطعمني ولو شاء لأجاعني وإذا شرب قال: الحمد لله الذي سقاني ولو شاء لأظمأني وإذا اكتسى قال: الحمد الذي كساني ولو شاء لأعراني وإذا احتذى قال:

الحمد لله الذي حذاني ولو شاء لأحفاني وإذا قضى حاجته قال: الحمد لله الذي أخرج عني الأذى ولو شاء لحبسه في.

والمقصود أنكم أحق بالاقتداء به دون آبائكم الجهال(١).

مدح الله نوحًا بالشكر كما مدحه بكثرة الدعاء وبين أنه استجاب له قال تعالى: ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧٦ – ٧٧].

لقد كان نوح عليه السلام كثير الدعاء ومناداة لله فاستجاب الله له ونجاه وأهله من الكرب العظيم قال نوح عليه السلام: ﴿ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴾ [القمر: ١٠]، فقال الله: ﴿ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الأنبياء: ٧٦]، نجاه من الكرب والغم الشديد ونصره وانتقم من القوم الذين كذبوا بآياته وأغرق كبيرهم وصغيرهم ثم لما بين انتصار الأنبياء ومنهم نوح عليه السلام قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، فجميع أهل التوحيد من أمة واحدة على الإسلام ربهم واحد يفردون العبادة لله ومن خرج عن محبة المسلمين السابقين واللاحقين العرب وغيرهم وأحب للقبيلة وللوطن أو اللون أو لأي شيء آخر فهو متقطع الأمر من أهل الأحزاب ﴿ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥٣].

(١) نقلاً عن كتاب الجامع لأحكام القرآن (١٠ / ٢١٣).

دعوات نوح عليه السلام واستجابة الله له

ومن دعاء نوح عليه السلام أنه لما ركب في السفينة دعا ربه وسمى بالله ولما هبط على اليابس قال: ﴿ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴾ [المؤمنون: ٢٩]، ولما كان على الفلك قال: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [المؤمنون: ٢٨]، ولما خرج من السفينة قال الله تعالى: ﴿ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ﴾ [هود: ٤٨].

بشره الله السلامة والنجاة وهذه كلها ابتلاء لنوح ومن معه وهي آيات عظيمة لمن اعتبر واختبارات وابتلاء لنوح ومن قبله ومن بعده وعلى المسلم أن يقول حين ينزل منزلًا: اللهم أنزلني منزلًا مباركًا وأنت خير المنزلين.

وعبر ربنا عن دعاء نوح بالنداء فقال: ﴿ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴾ [الصافات: ٧٥]، وهذا أبلغ ونجاه الله من الكرب العظيم وعبر تعالى عن كرب نوح بأنه عظيم وأنه نجاه وأهله منه وجعل الله ذريته هم الباقين.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما خرج نوح من السفينة مات من معه من الرجال والنساء إلا ولده ونساؤه فذلك قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾ [الصافات: ٧٧].

وقال آخرون: أن لغير ولد نوح نسلاً لقوله تعالى: ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ﴾[الإسراء: ٣]، ولقوله تعالى: ﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [هود: ٤٨].

فعلى هذا معنى قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾ [الصافات: ٧٧]. أي: دون ذرية من كفر فإنا أغرقناهم فنوح عليه السلام محبوب عند جميع الأمم من بعده وشرعه هو الذي وصى الله به ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا ﴾ [الشورى: ١٣].

قال تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الصافات: ٧٩]، وقال: ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الصافات: ٨٠]، وقال: ﴿ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصافات: ٨١]، وجعل الله من شيعته إبراهيم قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الصافات: ٨٣].

وكل من اتبع نبيًا فهو من شيعة نوح عليه السلام ومن أهل دينه وأتباعه وقد ذكرت قصص نوح وقومه في القرآن الكريم مرارًا لأنهم أعتى الأمم أهلكهم الله بالغرق بعامة إلا من آمن وهم قلة قليلة وفي ذلك تسلية لرسولنا محمد ﷺ وتعزية فهؤلاء من قومك يا محمد جند من الأحزاب المتقدمين الذين تحزبوا على أنبيائهم وأشدهم قوم نوح وهم أقوى من قومك فأهلكهم الله بعدما أن يقتلوه أو يحبسوه أو يعذبوه كما قال تعالى: ﴿ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ [غافر: ٥]. جادلوا بالشرك ليبطلوا الإيمان.

وكان نوح عليه السلام من أولي العزم فهم أولو الحزم والصبر وأصحاب الشرائع فنوح صبر على أذى قومه مدة طويلة، وإبراهيم صبر على النار، وموسى صبر على أذى فرعون، ومحمد ﷺ صبر على أذى قومه المتنوع، وعيسى صبر على الزهد في الدنيا وإيذاء قومه له.

امرأة نوح عليه السلام خائنة

قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾ [التحريم: ١٠].

لا يغني أحد في الآخرة عن قريب ولا نسيب فالإسلام والدين فرق بين المسلم والكافر وكان اسم امرأة نوح والغه واسم امرأة لوط واهلة لما قال السبيعي.

والخيانة التي ارتكبتها امرأة نوح تقول: إنه مجنون والخيانة التي ارتكبتها امرأة لوط أنها تخبر عن أضيافه، وكانتا مشركتين أو منافقتين، وكانتا ينمان عن نوح ولوط، وتفشيان أسرارهما على المشركين، ومع أنهما امرأتان لنبيين كريمين لم يغنيا عنهما من الله شيئًا، وقيل: ادخلا النار مع الداخلين فلا

واسطة في نزول العذاب ولا شفاعة قال تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠١].

هذا في الآخرة وكذا في الدنيا فالعذاب يدفع بالطاعة.

نوح عليه السلام عبد الله

الذي يكذب رسولًا واحدًا كذب جميع الرسل قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء: ١٠٥]، وقال: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴾ [ق: ١٢ – ١٤]، ولم يقل: كل كذب رسوله بل قال: ﴿كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴾ وقال: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴾ [القمر: ٩]، أي: ازدجر عن دعوى النبوة بالسب والوعيد بالقتل فقال نوح عليه السلام: ﴿ أَنِّى مَغْلُوبٌ ﴾ [القمر: ١٠]. أي: غلبوني بتمردهم فنصره الله فانهمر الماء عليهم وغرقوا فالتقى ماء السماء مع ماء الأرض حيث تفجرت العيون فحمله الله ومن آمن معه على السفينة ذات الألواح والمسامير، وجرت بأعين الله تعالى، وبمرأى منه وبأمره تعالى وحفظه وكلاءته.

وهذه عاقبة الكفار المعاندين ونصر المؤمنين الموحدين ونصر لنوح عبد الله وتسميته عبد الله ﴿ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا ﴾ [القمر: ٩]، تكريم له عليه السلام وهذا

أعظم تكريم كما قال تعالى عن محمد ﷺ: ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ [الجن: ١٩].

قيل: إنه لم ينج من الكفار سوى عُوج بن عُنُق قيل: إن الله نجاه من الغرق لأن نوحًا احتاج إلى خشبة الساج لبناء السفينة لم يمكنه حملها فحمل عوج تلك الخشبة إليه من الشام فشكر الله له ذلك ونجاه من الغرق والله أعلم(١).

استكبار قوم نوح الكافرين واستغفار المؤمنين

دعاهم نوح ليلاً ونهارًا وسرًّا وجهارًا فسدّ عددا عن الإيمان وجعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وغطوا وجوههم لئلا يسمعوا ما يقول نوح عليه السلام وعادوه وأصروا على كفرهم واستهزؤا بالمؤمنين وقالوا: ﴿ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴾ [الشعراء: ١١١]، وطلب منهم نوح أن يستغفروا ربهم إنه كان غفارًا فلم يستغفروا فحبس الله عنهم المطر سنين طويلة وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة وفي الآية الكريمة ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾ [نوح: ١٠ – ١٢]. دليل على أن الاستغفار سبب غفران وسبب المطر وسبب الرزق والأولاد والجنات والأنهار.

(١) ذكر ذلك القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن الجزء (١٧/١٣٣).

قال الشعبي: خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستسقي فلم يزد على الاستغفار حتى رجع فأمطروا.

وقال الأوزاعي: خرج الناس يستسقون فقام منهم بلال بن سعد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: اللهم إنا سمعناك تقول: ﴿ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ﴾ [التوبة: ٩١]، وقد أقررنا بالإساءة فهل تكون مغفرتك إلا لمثلنا اللهم اغفر لنا وارحمنا واسقنا ورفع يديه ورفعوا أيديهم فسقوا.

وقال ابن صبيح: شكا رجل إلى الحسن الجدوبة فقال: استغفر الله. وشكا آخر إليه الفقر فقال: استغفر الله. وقال له آخر: ادع الله أن يرزقني ولدًا. فقال: استغفر الله. فقلنا له في ذلك فقال: وما قلت من عندي شيئًا إن الله تعالى يقول في سورة نوح: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾ [نوح: ١٠ – ١٢].

دعوات نوح على قومه

كما أخبره الله بأن قومه لن يؤمن منهم إلا من قد آمن أيس نوح من قومه فدعا عليهم قائلاً: ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ [نوح: ٢٦ – ٢٧]، كما دعا الرسول محمد صلى الله عليه وسلم على عتبة وشيبة وأصحابهما لعلمه بمآلهم وما كشف له من الغطاء

عن حالهم ثم دعا للمؤمنين من قومه قائلاً: ﴿ رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارٗا ﴾ [نوح: ٢٨].

أي: لمن دخل مسجدي ومصلاي مصليًا مصدقًا بالله. وقيل: المراد لمن دخل منزلي ودارتي من المؤمنين ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارٗا ﴾ [نوح: ٢٨]. أي: هلاكًا وخرابًا ودمارًا.

والحمد لله رب العالمين.

ذكر وصيته لولده عليه السلام

عن عبد الله بن عمرو قال:

كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من أهل البادية عليه جبة سيحان مزرورة بالديباج فقال: "ألا إن صاحبكم هذا قد وضع كل فارس ابن فارس "

أو قال: يريد أن يضع كل فارس ابن فارس، ويرفع كل راع ابن راع".

قال: فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجامع جبته وقال: "ألا أرى عليك لباس من لا يعقل!"

ثم قال: "إن نبي الله نوحاً عليه السلام لما حضرته الوفاة قال لابنه: إني قاص عليك الوصية؛ آمرك باثنتين وأنهاك عن اثنتين: آمرك بلا إله إلا الله، فإن السماوات السبع والأرضين السبع، لو وضعت في كفة، ووضعت لا إله إلا الله في كفة، رجحت بهن لا إله إلا الله. ولو أن السماوات السبع، والأرضين السبع، كن حلقة مبهمة، قصمتهن لا إله إلا الله، وسبحان الله وبحمده. فإنها لها صلاة كل شيء، وبها يرزق الخلق. وأنهاك عن الشرك والكبر" (أحمد: ٦٥٤٧) وقال: ضعيف).

والقرآن يقتضي أن نوحاً مكث في قومه بعد البعثة وقبل الطوفان ألف سنة إلا خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون. ثم الله أعلم كم عاش بعد ذلك؟

وأما قبره عليه السلام: فروى ابن جرير والأزرقي عن عبد الرحمن بن سابط أو غيره من التابعين مرسلاً، أن قبر نوح عليه السلام بالمسجد الحرام.

وهذا أقوى وأثبت من الذي يذكره كثير من المتأخرين، من أنه ببلدة بالبقاع تعرف اليوم بكرك نوح، وهناك جامع قد بني بسبب ذلك فيما ذكر. والله أعلم.

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	٥
ترجمة نوح عليه السلام	٧
حالة الناس قبل بعثة نوح عليه السلام	١٢
أثر دعوة نوح في قومه	١٤
تكذيب قوم نوح	١٩
طغيان قوم نوح وإهلاكهم	٢٢
أول الرسل نوح عليه السلام	٢٦
المدة التي بين نوح وآدم عليهما السلام	٢٨
بعثته عليه السلام	٢٩
أسباب الشرك لدى قوم نوح	٣١

موقف نوح من قومه وموقفهم منه ٣٢
خوف نوح عليه السلام من الله تعالى..... ٣٧
نوح عليه السلام وموقف قومه منه..... ٤٠
التوحيد دعوة نوح عليه السلام..... ٤١
ما ورد عن صفات السفينة..... ٤٣
ابن نوح يام..... ٤٥
ذرية نوح هم من بعده وليس في الأرض غيرهم..... ٤٦
نوح عليه السلام عبد شكور..... ٤٧
حجة نوح عليه السلام..... ٤٨
وصية نوح عليه السلام لولده..... ٤٨
وفاة نوح عليه السلام..... ٤٩
صنع السفينة..... ٥٠
فضائل نوح عليه السلام..... ٥٨
ذكر صومه عليه السلام..... ٦٠

باب ما جاء في صيام نوح عليه السلام ٦٠
باب بدء الوحي ٦٤
باب ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾ ٧٤
ذكر حجه عليه السلام ٧٥
موقف نوح عليه السلام من قومه ٧٥
تعزية نوح عليه السلام بعدم إيمان من لم يؤمن من قومه ٧٦
من كذب رسولًا فقد كذب جميع الرسل ٧٧
من الفوائد في قصص نوح عليه السلام ٧٩
عشر سور من القرآن ذكرت فيها قصة نوح عليه السلام ٨٢
الآداب المستنبطة من قصة نوح عليه السلام ٨٣
نوح عليه السلام حاور قومه بكل الوسائل جادلهم بكل الأساليب البليغة ٨٧
بعث نوح عليه السلام إلى أرض الجزيرة العربية ٨٩
نوح أول الرسل إلى الأرض ٩١

توكل نوح عليه السلام ٩٢
حجة قوم نوح باطلة داحضة ٩٣
التنور ٩٥
الأحاديث الواردة عن نوح عليه السلام وقومه ٩٦
الابن الكافر غير الصالح ليس من أهل الوالد ٩٨
نوح عليه السلام عبد شكور لله تعالى ٩٩
دعوات نوح عليه السلام واستجابة الله له ١٠١
امرأة نوح عليه السلام خائنة ١٠٣
نوح عليه السلام عبد الله ١٠٤
استكبار قوم نوح الكافرين واستغفار المؤمنين ١٠٥
دعوات نوح على قومه ١٠٦
ذكر وصيته لولده عليه السلام ١٠٧
الفهرس ١٠٩